


الجزء السابع

تأليف

أ.د/ موسى شاهين لاشين

د/ حصة عبد العزيز السويدي د/ أماني موسى شاهين

# قصص من الحديث النبوي

## مستخرج من صحيح البخاري

الجزء السابع

**مهام رسول الله ﷺ**

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين
رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا

الدكتور
حصة عبد العزيز السويدي
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة قطر

الدكتور
أماني موسى شاهين
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ {سورة يوسف ، ١١١}

## السيدة حفصة رضى الله عنها

**• نسبها :**

هى حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نوفل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، فاجتمعت معه صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى .

وأمها زينب بنت مظعون ، ولدت حفصة قبل البعثة بخمس سنين ، وقريش تبنى الكعبة .

**• زواجها من الرسول ﷺ**

كانت قبل رسول الله ﷺ تحت الصحابى البدرى " خنيس بن حذافة السهمى ، هاجرت معه ، ومات عنها بعد غزوة بدر ، من جراحات أصابته ببدر ، وقيل : بأحد ، والأول أشهر .

**٥١٢٢ - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِىِّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُوُفِّىَ بِالْمَدِينَةِ - فَقَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقَالَ سَأَنْظُرُ فِى أَمْرِى . فَلَبِثْتُ لَيَالِىَ ، ثُمَّ لَقِيَنِى ، فَقَالَ : قَدْ بَدَا لِى أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِى هَذَا . قَالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ . فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَىَّ شَيْئاً ، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّى عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيَالِىَ ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ ، فَلَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَىَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَىَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً ؟ قَالَ عُمَرُ : قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِى أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَىَّ إِلاَّ أَنِّى كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ**

**ذَكرَهَا ، فلَمْ أكُنْ لأفْشِىَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ولَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لقبلتها .**

وإنما كان عمر على أبى بكر أوجد منه على عثمان لما كان بينهما من أكيد المودة ؛ ولأن النبى ﷺ كان قد آخى بينهما .

وفى رواية أن عمر شكا إلى رسول الله ﷺ موقف صاحبيه ( عثمان وأبى بكر ) فقال رسول الله ﷺ : يتزوج عثمان خيرًا من حفصة وتتزوج حفصة خيرًا من عثمان ، فزوج عثمان بنته " أم كلثوم " وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة .

**• حياتها فى بيت الرسول ﷺ :**

دخلت حفصة بيت الرسول ﷺ وفيه سودة وعائشة .

ويبدو أن شدة عمر ، وخشيتها منه قلل من مظاهراتها ، ومن بروز غيرتها ، بخلاف عائشة التى كانت تركن إلى حب الرسول ﷺ لها ، وتثق فى رقة أبيها أبى بكر ﷺ .

وماتت رضى الله عنها فى شعبان سنة خمس وأربعين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وهى ابنة ستين سنة ، وقيل : فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين .

وحمل مروان سريرها من عند دار آل حزم إلى دار المغيرة ، وحمل أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها . رضى الله عنها وأرضاها .

رضي الله عنها

## السيدة زينب بنت خزيمة أم المؤمنين

• **نسبها** :

هى زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر الهلالية ، فهى قريبة السيدة ميمونة أم المؤمنين ، تجتمع منها فى هلال .

ويؤخذ من مجموع الروايات أنها كانت تحت الطفيل بن الحارث بن عبد الله ، فخلف عليها أخاه عبيدة بن الحارث ، فقتل عنها يوم بدر شهيدا ؛ فتزوجها عبد الله بن جحش ، ابن عمة الرسول ﷺ ، وأخو زوجته زينب . فاستشهد عنها بأحد ، فتزوجها ﷺ .

وظاهر لا يحتاج إلى بيان هدف الرسول ﷺ ، ودافعه إلى هذا الزواج وهو النجدة العربية ، وحماية زوجة القريب والشهيد ، وهكذا كانت نخوة المسلمين ، لا تكاد زوجة الشهيد تنقضى عدتها حتى يتقدم إليها السادات . لتضميد جرحها ، وضمها إلى بيوتهم ورعايتهم ، فيطمئن المجاهدون على من وراءهم ، وليشهد الناس سماحة الإسلام وتعاطف المسلمين .

وقد اعترف المستشرقون أنفسهم بهذه الحقيقة الساطعة حتى قال "بودلى" : كانت زينب بنت خزيمة أرملة عبيدة بن الحارث ، ابن عم لمحمد ، سقط فى بدر ، وما ضمها محمد إلى نسائه إلا بدافع الشفقة .

وكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها فى السنة الثالثة ، قال الزرقانى : ولعلها كانت حاملا من زوجها عبد الله بن جحش ، فسقط حملها بعد موته ، فانقضت عدتها بذلك فى السنة المذكورة ، وهذا متعين وإن لم يذكروه ، إذ واقعة أحد كانت فى شوال سنة ثلاث باتفاق ، فلا يمكن انقضاء عدتها بالأشهر فى السنة المذكورة .

وفى الألوسى ناقلا عن عروة والشعبى أنها هى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، وكانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين ، لكثرة إطعامها إياهم ، ورحمتها بهم ، ورقتها عليهم ، قال ابن عبد البر : مكثت عنده صلى الله عليه وسلم شهرين أو ثلاثة ، وقال ابن سعد : مكثت عنده ثمانية أشهر . قال الزرقانى : ولم يمت عنده صلى الله عليه وسلم إلا هى وخديجة .

والظاهر أن قصر مقامها ببيت الرسول ﷺ جعل أخبارها كأم للمؤمنين قليلة متناثرة .

وصلى عليها رسول الله ﷺ ، ودفنها بالبقيع على الطريق وكانت سنها يوم ماتت ثلاثين سنة . رضى الله عنها وأرضاها .

رضي الله عنها

## السيدة أم سلمة أم المؤمنين

### • نسبها وحياتها قبل الرسول ﷺ :

هى هند ، وقيل : رملة والأول أصح بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، فاجتمعت معه صلى الله عليه وسلم فى " مرة " .

وقد اختلف فى اسم أبيها أبى أمية فقيل : حذيفة ، وقيل : زهير ، وقيل : سهل ، ويعرف بزاد الركب ، لأنه كان إذا سافر لم يحمل أحد من رفقته زادا ، لأنه يكفيهم الزاد ، وهو أحد أجواد العرب المشهورين بالكرم.

وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية .

تزوجها أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد أسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وأسلم هو وزوجه مع السابقين ، ولما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه فى الهجرة للحبشة فى رجب سنة خمس من النبوة هاجر أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، فيهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو سلمة وزوجه أم سلمة .

ثم هاجر بها إلى الحبشة الهجرة الثانية ، فولدت هناك ابنهما " سلمة " فلما قدما مكة ذاقا كالمسلمين من الاضطهاد والأذى ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها ، فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم أبو سلمة ، هاجر

إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة .

وقصة خروجهما وهجرتهما نذكرها في السابقين إلى الإسلام .

وفي المدينة ولدت لأبي سلمة عمر ، ودرة ، وزينب ، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة بدر الكبرى ، وغزوة أحد فعن عمر بن أبي سلمة قال : خرج أبي إلى أحد ، فرماه أبو سلمة الجشمي في عضده بسهم ، فمكث شهرا يداوي جرحه ثم برئ الجرح ، وعقد له الرسول ﷺ لواء سرية قوامها مائة وخمسون رجلا منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص إلى "قطن" ( ماء لبني أسد بن خزيمة ) هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة ، فعاد هو وأصحابه غانمين .

ولم يلبث أبو سلمة أن توفي عقب عودته من هذه السرية متأثرًا بجرح أحد ، وحضره النبي ﷺ وهو على فراش الموت.

قالت أم سلمة : لما مات أبو سلمة ﷺ قلت : غريب وفي أرض غربة لأبكينه بكاء يتحدث به ، فكنت قد تهيأت للبكاء إذ أقبلت امرأة تريد أن تساعدني ، فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال : تريدين أن تدخلي الشيطان بيتًا أخرجه الله منه ؟ مرتين ، فكففت عن البكاء فلمَ أبك .

وكانت قد سمعت من رسول الله ﷺ قوله : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول : اللهم اؤجرني في مصيبتي ، واخلفني خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها » . قالت : فلما مات أبو سلمة استرجعت ، وقلت : اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه . قالت : ولم تطب نفسي أن أقول : اللهم اخلفني خيرًا منها ، وقلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ أي في حسن عشرتي – ثم إني قلتها ، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ .

توفي أبو سلمة وزوجه حامل في بنتـــه "زينـــب" ، فلما وضعتها

وانقضت عدتها أسرع إليها أبو بكر ﷺ يخطبها لنفسه فأبت ، وخطبها عمر لنفسه فأبت .

وأكبر رسول الله ﷺ هذه السيدة التي رفضت يد أبي بكر وعمر ، ولم ترض أن تدخل بيت رجل آخر وفاء لأبي سلمة ، وثقة منها أنها لن تجد مثل أبي سلمة ، وتذكر صلى الله عليه وسلم المسلم الغيور الذى فرَّ بدينه إلى الحبشة مرتين ، وفارق أهله وولده إلى المدينة ، وجاهد فى نصرة الدين ، وأخيرًا مات فى سبيل الله ، فرأى من واجبه أن يرعى صبيته ، وأن يحمى ويكرم زوجه بأمومة المؤمنين ، فأرسل إليها عمر بن الخطاب يخطبها عليه صلى الله عليه وسلم ، فاعتذرت فى رفق لعمر ، فغضب رضى الله عنه أشد مما غضب لنفسه حين ردته ، فقال : أنت التى تردين رسول الله ﷺ ؟ فقالت : يا ابن الخطاب ، إن فىَّ خلالا ثلاثًا ، أخشى منها على رسول الله ﷺ : إنى امرأة مسنة ، وغيور ، وذات عيال . فرجع عمر إلى رسول الله ﷺ فأتاها صلى الله عليه وسلم .

قالت أم سلمة : فاستأذن علىَّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهابًا ، فسللت يدى منه ، وأذنت لرسول الله ﷺ ، ووضعت له وسادة من أدم حشوها ليف ، فقعد إليها ، فقال لها : أما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك ، وأما ما ذكرت من غيرتك فإنى أرجو الله أن يذهبها عنك ، فكانت فى النساء كأنها ليست منهن لا تجد من الغيرة شيئًا ، وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم ، قالت : أنا امرأة ليس لى هنا أحد من أوليائى فيزوجنى ، قال : ليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب إلا سيرضانى . فقالت لابنها عمر – كما فى رواية أحمد والنسائى – أو سلمة وعليه الأكثر : زَوِّجْ رسولَ الله ﷺ أمك .

• **أم سلمة فى بيت رسول الله ﷺ :**

ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم نقلها فأدخلها بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت ، قالت : فنظرت فإذا جرة ، فاطلعت فيها فإذا شيء من شعير وإذا رحى وبرمة وقدر ، ونظرت فإذا فيه كعب من إهالة – أى قطعة من شحم – وحزنت عائشة حزنًا شديدًا لما علمت بزواج أم سلمة، قالت : لما ذكر لنا من جمالها ، قالت : فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت والله أضعاف ما وصفت ، فذكرت ذلك لحفصة فقالت : ما هى كما يقال ، وذكرت كبر سنها ، قالت : عائشة : فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ، ولكنى كنت غيرى .

وكان رسول الله ﷺ يأتى أم سلمة ، فإذا جاء رأى بنتها "زينب" فى حجرها ، وكان رسول الله ﷺ حيبا كريمًا ، يستحيى فيرجع ، فعل ذلك مرارًا ، ففطن عمار بن ياسر لما تصنع – وكان أخاها لأمها – فأقبل ذات يوم ، فدخل عليها ، فانتشط "زينب" من حجرها ، وقال : دعى هذه المقبوحة التى آذيت بها رسول الله ﷺ فأخذها ، فذهب بها إلى مرضعة أخرى .

وجاء النبى ﷺ فدخل ، فجعل يقلب بصره فى البيت يقول : أين زناب ؟ ما فعلت بزناب ؟ قالت : جاء عمار فذهب بها ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنا آتيكم الليلة .

قالت : فقمت إلى فضلة شعير لأهلى فطحنتها ، وفضلة شحم فعصدتها ، فلما أتانا رسول الله ﷺ قدم إليه الطعام ، فأصاب منه ، فكان ذلك طعام رسول الله ، وطعام أهله ليلة عرسه ، وبات تلك الليلة ، ثم أقام عندها ثلاثًا ، فلما أصبح وأراد أن يدور أخذت بثوبه ، فقال : ما شئت ؟ قد

أصبح بك على أهلك كرامة ، ولك عندهم منزلة ، وليس بك عليهم هوان ، وإنما هى ثلاث للثيب وسبع للبكر ، فإن شئت أن أزيدك زدتك ، ثم قاصصتك به بعد اليوم ، وإن شئت ثلاثًا عندك ، ثم درت . قالت : يا رسول الله . افعل ما أحببت .

وكان واضحًا منذ اللحظة الأولى أن أم سلمة لن تسمح لعائشة أو غيرها بالمساس بكرامتها وعزتها ، فهى زوجة عزيزة ، عريقة المنبت ، ذات إباء وفطنة وحكمة ، ولئن امتازت عائشة من بين الأزواج بالدلال ، فإن أم سلمة تمتاز من بينهن بالشجاعة الأدبية ، والرزانة العاقلة ، والحكمة النادرة ، فقد روى أن نساء النبى ﷺ سألنه ما ليس عنده ، فدخل أبو بكر على عائشة فقال : قد علمت أن رسول الله ﷺ لا يدخر عنكن شيئًا ، فلا تسألنه ما لا يجد ، انظرى حاجتك فاطلبيها منى ، وانطلق عمر إلى حفصة فذكر لها مثل ذلك ، ثم اتبعا أمهات المؤمنين ، فجعلا يذكران لهن مثل ذلك حتى دخلا على أم سلمة ، فذكرا لها مثل ذلك ، فقالت لهما أم سلمة : ما لكما ولما ههنا ؟ هل يدخل بينكما وبين أهليكما أحد ؟ فما تكلفكما هذا ؟ من نسأل إذا لم نسأل رسول الله ﷺ ؟ فإن تحمل فهو أولى به ، وإن نهانا كان أطوع عندنا منكما . سبحان الله يا ابن الخطاب – ووجهت إليه الكلام ؛ لأنه الذى حدثها لقرابته منها – دخلت فى كل شيء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه ؟؟؟ فخرجا من عندها يلومان أنفسهما ، فقال أزواج النبى ﷺ لأم سلمة : جزاك الله خيرًا حين فعلت ما فعلت ، ما قدرنا أن نرد عليهما شيئًا .

ويشهد لفضل أم سلمة ووفور عقلها ما أشارت به على رسول الله ﷺ فى الحديبية .

ومما يحمد لهذه السيدة الأبية المعتزة أنها عاشت بين نسوة ثمان

كأنها ليست فيهن ، لا تثير دخان الغيرة كما يثرن وهى الغيرى . وغاية ما روى عنها فى الغيرة أن رسول الله ﷺ كان فى بعض أسفاره ، ومعه فى ذلك السفر صفية بنت حيي وأم سلمة ، فأقبل رسول الله ﷺ إلى هودج صفية وهو يظن أنه هودج أم سلمة ، وكان ذلك يوم أم سلمة ، فجعل رسول الله ﷺ يتحدث مع صفية ، فغارت أم سلمة ، وعلم رسول الله ﷺ بعد أنها صفية ، فجاء إلى أم سلمة ، فقالت : تتحدث مع ابنة اليهودى فى يومى وأنت رسول الله ؟ قالت : ثم ندمت على تلك المقالة ، فقلت : يا رسول الله استغفر لى ، فإنما حملنى على هذا الغيرة .

فهذه الحادثة العابرة أقرب إلى الوقوف بجوار الحق منها إلى الغيرة ومع ذلك كانت تستغفر منها ، وتطلب من رسول الله ﷺ أن يستغفر لها .

وقد شهدت عمرة القضاء والفتح وخيبر والطائف ، وتوفيت سنة تسع وخمسين ، وصلى عليها أبو هريرة ، ودخل قبرها عمر وسلمة ابنا أبى سلمة ، ودفنت بالبقيع ، وهى ابنة أربع وثمانين سنة ، وكانت من آخر أمهات المؤمنين موتًا ، فرضى الله عنها وأرضاها .

# زينب بنت جحش رضى الله عنها

## • زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضى الله عنهما

وكما كانت العرب تزن الرجال بالغنى والفقر كانت كذلك تزنهم بالحسب، فكانوا يتفاخرون فى أشعارهم وخطبهم بالأحساب والأنساب، فنزل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1] وكانت آخر وصية وصى بها صلى اللّه عليه وسلم أمته أن قال : « أيها الناس ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

وفى ميدان الزواج أكد اللّه ورسوله هذا المعنى ، إذ قضى جل شأنه أن تتزوج زينب بنت جحش زيد بن حارثة بعد محاورة لطيفة وقصة طريفة ، من الخير هنا أن نعرضها بإيجاز :

تزوج رسول اللّه ﷺ خديجة وزيد بن حارثة عبد عندها ، اشترته من السوق ، وهو ابن ثمان سنين ، فاستوهبه صلى اللّه عليه وسلم من خديجة ، فوهبته إياه ، فشب عند النبى ﷺ ، وعلم به أبوه وعمه وأخوه ، فقدموا إلى مكة من مضاربهم القريبة من الشام ، فالتقوا به ، فعرفوه وعرّفوه بأنفسهم ، ثم لقوا رسول اللّه ﷺ ، وكان ذلك قبل البعثة ، فقال له حارثة : يا محمد أنتم أهل حرم اللّه تعالى وجيرانه ، وعند بيته ، تفكون العانى ، وتطعمون الأسير ، ابنى عندك ، فامنن علينا ، وأحسن فى فدائه ،

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

فإنك ابن سيد قومه ، وإنَّا سندفع إليك فى الفداء ما أحببت ، فقال صلى اللَّه عليه وسلم : أعطيكم خيرًا من ذلك ، قالوا : وما هو ؟ قال : أخيره ، فإن اختاركم فخذوه بغير فداء ، وإن اختارنى فكفوا عنه ، فقال أبوه : أحسنت وأجزلت . جزاك اللَّه خيرًا .

فدعاه صلى اللَّه عليه وسلم فقال : يازيد . أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم. أبى وعمى وأخى ، فقال صلى اللَّه عليه وسلم : فهم من قد عرفتهم ، إن اخترتهم فاذهب معهم ، وإن اخترتنى فأنا من تعلم . فقال زيد : ما أنا بمختار عليك أحدًا أبدًا . فقال صلى اللَّه عليه وسلم : أشهدكم أنه حر ، وأنه ابنى يرثنى وأرثه - وكان التبنى معروفًا عند العرب قبل الإسلام ، فلم يزل فى الجاهلية يدعى زيد ابن محمد ، حتى نزل القرآن : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ﴾ (١) .

وكان رسول اللَّه ﷺ قد ورث عن أبيه أمة تسمى "بركة" كانت حاضنة لرسول اللَّه ﷺ فى طفولته ، فلما تزوج صلى اللَّه عليه وسلم خديجة أعتق "بركة" فتزوجت رجلاً من الخزرج فولدت له "أيمن" وكنيت بأم أيمن، مات زوجها، فزوجها رسول اللَّه ﷺ زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد بعد النبوة بقليل. وهاجر زيد بن حارثة بفاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول اللَّه ﷺ وسودة بنت زمعة أم المؤمنين عقب هجرة الرسول ﷺ وحمل معه أم أيمن وولدها أيمن وولده منها أسامة بن زيد.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥.

وأوحى إلىَ رسول اللَّه ﷺ أن يزوج زينب بنت جحش مولاه زيد ابن حارثة ، ولكن كيف ؟ وهى الحسيبة النسيبة القرشية التى تجتمع معه صلى اللَّه عليه وسلم من جهة أبيها فى جده الأعلى "خزيمة" وأمها أمية بنت عبد المطلب بن هاشم أخت أبيه فهى ابنة عمته؟ وزيد سبق عليه الرق؟ وضرتها أم أيمن سبق عليها الرق؟ ثم هى من أجمل جميلات العرب؟ فى ريعان الشباب ونضارة الأنوثة؟ تحلم بفارس العرب أو كبير قوم؟ وزيد كما تعلم، ومعه ولدان شابان قد قاربا البلوغ أيمن وأسامة؟ هل ستقبل هذا الزواج؟ وكيف يفاتحها؟ وماذا لو رفضت؟.

ذهب إليها يخطبها لمولاه زيد فى حضور أخيها عبد اللَّه بن جحش . قال : يا زينب . إنى أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فأصابها ذهول لا ذهول بعده ؟؟. كيف تعصى رسول اللَّه ﷺ ؟ أو كيف تستجيب ؟ واستجمعت قواها بعد فترة صمت وقالت : يا رسول اللَّه . أنا من خير العرب حسبًا وزيد من تعرف ؟ أنا ابنة عمتك وزيد مولاك ؟ قال : إنى قد رضيته لك . قالت : ولكنى لا أرضاه لنفسى . ووافقها أخوها عبد اللَّه . قالت : لست بناكحته . قال صلى اللَّه عليه وسلم : بل فانكحيه ، قالت : أؤامر فى نفسى ؟ فأخذ رسول اللَّه ﷺ ما يأخذه عند نزول الوحى ، فلما سرى عنه قرأ عليها وعلى أخيها ما نزل من القرآن ، قرأ قوله تعالى :

**﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾**[1] فلما سمعت قالت : إذن لا أعصى اللَّه ورسوله ، سلمت للَّه أمرى وأنكحت زيدًا نفسى .

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

زواج عجيب ، ليس على طريقة الإسلام ومبادئه التى تجعل الخيار للفتاة ولا ترغمها على الزواج بمن لا ترضاه ، لكن الحكمة الإلهية التى جعلت العبد الصالح يخرق السفينة لصالح أصحابها نفذت هنا عملية جراحية شاقة لصالح جسد الأمة الإسلامية إذا كان محمد يدعو إلى طرح الأحساب والاعتماد على الدين فليطبق هذا المبدأ على نفسه وعلى أهله، ولتتزوج ابنة عمته مولاه زيدًا ، ثم تسير الأمور على سننها وطبيعتها ، فتحفظ لزيد حقه كزوج ، لكنها لا تطيب نفسها بهذا الوضع ، فتخونها طبيعتها من غير قصد، فتفخر على زيد بشرفها وحسبها ، وتتعالى عليه فى تصرفاتها ، ويضيق صدر زيد بصدها وإبائها ، وتنصرف نفسه عنها ، فيطلقها ويواسى رسول اللَّه ﷺ فجيعتها ، ويضمد جراحها فيتزوجها بأمر من اللَّه تعالى . يتزوج مطلقة مولاه ، يتزوج مطلقة من كان عبده فى يوم من الأيام ، ليؤكد للأمة اعتدادها بالإسلام أولا لا بالأحساب والأنساب ، وفى ذلك يقول جل شأنه : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

**• زواج الرسول ﷺ بها**

لما انقضت عدتها قال رسول الله ﷺ لزيد : اذهب فاذكرها على ، فانطلق ، فقال : يا زينب أبشرى . أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربى ، فقامت إلى مسجدها .

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

## • حياتها معه صلى الله عليه وسلم

دخلت "زينب" بيت رسول الله ﷺ معتزة بهذا التزويج الإلهى ، فكانت تقول للنبى ﷺ " إنى لأدل عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدى وجدك واحد – تقصد جدها من جهة أمها – وإنى أنكحك الله إياى من السماء ، وإن السفير لجبريل عليه السلام .

وذكر ابن حزم أنها صاحبة القصعة التى كسرتها عائشة ، ورجح الحافظ ابن حجر فى قصة التظاهر أنها صاحبة العسل التى كان النبى ﷺ يطيل الجلوس عندها ، ورأت "عائشة" وقد أقامت خباء لتعتكف فيه فأقامت مثله .

وكانت رضى الله عنها صالحة صوامة قوامة ، صنعاء تدبغ وتخرز وتتصدق به فى سبيل الله . روى أن النبى ﷺ كان يقسم ما أفاء الله على رهط من المهاجرين ، فتكلمت زينب بنت جحش ، فانتهرها عمر ، فقال صلى الله عليه وسلم : خل عنها يا عمر ، فإنها أواهة ، فقال رجل : يا رسول الله . ما الأواه ؟ قال : الخاشع المتضرع ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [١] .

وقد قالت حين سئلت فى حديث الإفك : أحمى سمعى وبصرى ، والله ما علمت إلا خيرًا . كانت بذلك أصدق حديثًا وأتقى لله ، إذ حلفت بأنها ما علمت إلا خيرًا ، مع كونها ضرتها ، وعلمها بأنها أحب إليه منها ، فلم تحملها الغيرة على السكوت ، أو على الإخبار بنفى العلم فقط ،

---

(١) سورة هود – آية : ٧٥ .

بل حصرت العلم فى الخير ، ثم لم تكتف بذلك حتى أقسمت عليه قبل ذكره رضى الله عنها .

**• حالها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم :**

روى الإمام أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع : « هذه ثم ظهور الحصر » قال : وكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة ، وكانتا تقولان : والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا ذلك من النبى ﷺ .

نعم ماتت أم المؤمنين زينب بنت جحش قبل أن يحج أزواج النبى ﷺ لأنهن حججن فى آخر سنة حجها عمر بن الخطاب . لكن الحديث يدل على مدى حرصها رضى الله عنها على تنفيذ إشارة رسول الله ﷺ بكل دقة حسبما فهمت من الحديث .

وكانت رضى الله عنها أوصل للرحم وأعظم صدقة ، فقد روى ابن سعد عن برزة بنت رافع قالت : لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها ، وكان اثنى عشر ألفًا ، فلما أدخل عليها قالت : غفر الله لعمر . غيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى ، قالوا : هذا كله لك . قالت : سبحان الله ، واستترت منه بثوب ، وقالت : صبوه واطرحوا عليه ثوبًا ، ثم قالت لبرزة : أدخلى يدك واقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان ، وبنى فلان من أهل رحمها وأيتامها ، ففرقته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب ، فقالت لها برزة : غفر لك الله يا أم المؤمنين . والله لقد كان لنا فى هذا حق . قالت : فلكم ما تحت الثوب . قالت برزة : فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهمًا .

وبلغ عمر ما فعلت ، فوقف عليها ، وأرسل السلام ، وقال : بلغنى ما فرقت . فأرسل بألف درهم تستبقينها ، فسلكت به ذلك المسلك ، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا.

فلم تأخذه إلا عامًا واحدًا . وماتت فكانت أولى أمهات المؤمنين لحوقًا به صلى الله عليه وسلم .

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن بعض أزواج النبى ﷺ قلن للنبى ﷺ : أينا أسرع بك لحوقًا ؟ قال : أطولكن يدًا . قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ، وكانت امرأة قصيرة ، ولم تكن أطولنا ، فعرفنا حينئذ أن النبى ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة ، وكانت زينب امرأة صناعة باليد ، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق فى سبيل الله .

وروى ابن سعد أنها حين حضرتها الوفاة قالت : إنى أعددت كفنى ، وإن عمر سيبعث إلى بكفن ، فتصدقوا بأحدهما ، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى – أى بإزارى – فافعلوا .

وماتت بالمدينة سنة عشرين ، أو إحدى وعشرين ، ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة .

وأرسل عمر بن الخطاب إليها بخمسة أثواب من الخزائن ، يتخيرها ثوبًا ثوبًا ، فكفنت فيها ، وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذى أعدته تكفن فيه .

وكانوا يخرجون بالرجال والنساء سواء ، فلما ماتت زينب بنت جحش أمر عمر مناديًا فنادى : ألا لا يخرج على زينب إلا ذو رحم من

أهلها ، وكان يكره رضى الله عنه أن ترى شخوص أمهات المؤمنين ، فقالت له أسماء بنت عميس : يا أمير المؤمنين . ألا أريك شيئًا رأيت الحبشة تصنعه لنسائهم ؟ فجعلت نعشًا وغطته ثوبًا ، فلما نظر إليه قال : ما أحسن هذا ؟ ما أستر هذا ؟ فأمر مناديًا فنادى أن اخرجوا على أمكم .

وكبر عمر عليها أربعًا ، وكان يقدم الناس أمام جنازتها ، ورأى أخاها أبا أحمد بن جحش يحمل سريرها وهو مكفوف يبكى ، فقال له : يا أبا أحمد . تنح عن السرير لا يعترضك الناس ، وازدحموا على سريرها فقال أبو أحمد : يا عمر . هذه التى نلنا بها كل خير ، وإن هذا يبرد حر ما أجد ، فقال له عمر : الزم . الزم .

وقام عمر بن الخطاب فى المقبرة ، والناس يحفرون لزينب فى يوم حار ، فقال : لو أنى ضربت عليهم فسطاطًا ، فكان أول فسطاط ضرب على قبر .

وجلس أبو أحمد على شفير القبر يبكى ، وعمر بن الخطاب قائم على رجليه ، والأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ قيام على أرجلهم ، فلما حملت إلى قبرها قام عمر – وكان يحب أن يدخلها قبرها – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس . إنى أرسلت إلى النسوة – يعنى أزواج رسول الله ﷺ حين مرضت هذه المرأة . أن من يمرضها ويقوم عليها ؟ فأرسلن : نحن . فرأيت أن قد صدقن . ثم أرسلت إليهن حين قبضت : من يغسلها ويحنطها ويكفنها ؟ فأرسلن : نحن . فرأيت أن قد صدقن . ثم أرسلت إليهن : من يدخلها قبرها ؟ فأرسلن : من كان يحل له الولوج عليها فى حياتها . فرأيت أن قد صدقن ، فاعتزلوا أيها الناس ، فنحاهم عن قبرها ، فأمر محمد بن عبد الله بن جحش ، وأسامة وعبد الله ابنى أبى أحمد بن جحش ، ومحمد ابن طلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها حمنة بنت جحش فنزلوا قبرها .

وذهبت رضى الله عنها ، وما تركت درهمًا ولا دينارًا ، كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه ، وكانت كما شهدت لها عائشة مفزع اليتامى والأرامل ومأوى المساكين .

رضي الله عنها

## السيدة جويرية أم المؤمنين

• **نسبها** :

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك ابن جذيمة الخزاعية المصطلقية .

قيل : كان اسمها "برة" فكره رسول الله ﷺ أن يقال : خرج من عند "برة" ، فسماها "جويرية" ، وهذا يعارضه ما جاء في حديث عائشة الآتي حين جاءت للرسول ﷺ وقالت : أنا جويرية بنت الحارث ... الخ .

اللهم إلا أن يقال : كان لها الاسمان ، فأثبت رسول الله ﷺ جويرية ، وألغى برة .

كان أبوها الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق ، فدعا قومه لمحاربة رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم الرسول ﷺ وقاتلهم على ماء المريسيع فقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، وسبى رسول الله ﷺ النساء والذرية والنعم والشاء ، وأمر بالأسارى فكتفوا ، وبالغنائم فجمعت ، واقتسم السبي وفرق ، وصار في أيدي الرجال ، فكانت جويرية في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، وقتل زوجها مسافع بن صفوان المصطلقي كافرًا فيمن قتل .

فكاتبت جويرية ثابت بن قيس على نفسها بتسع أواق من ذهب ، ثم دخلت على رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله . إني امرأة مسلمة . أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وكان من أمري ما لا يخفى عليك ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له ، فخلصني منه بنخلات له بالمدينة ، فكاتبني على ما لا طاقة لي به ، ولا يدان لي ، ولا قدرة عليه ، وهو تسع أواق من الذهب ، وما هو أكرهني على ذلك إلا إني رجوتك صلى الله عليك ، وجئت أسألك في

كتابتى ، فقال صلى الله عليه وسلم : فهل لك إلى ما هو خير ؟ فقالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ قالت : نعم يا رسول الله . قد فعلت .

وقد ذكر المقريزى أن دخول جويرية على الرسول ﷺ ، وأداءه ما عليها ، وعتقها ، وتزوجها ، كل ذلك تم والنبى ﷺ على ماء المريسيع ، وخرج الخبر إلى الناس ، وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم ، فقالوا : أصهار النبى ﷺ ، فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبى ، وقدموا المدينة ببعض السبى ، فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم ، فلم تبق امرأة من بنى المصطلق إلا رجعت إلى قومها .

وكان سنها يوم تزوجها صلى الله عليه وسلم عشرين سنة . وكانت رضى الله عنها قانتة ذاكرة ربها كثيرا ، فقد روى مسلم أنها قالت : أتى علىَّ رسول الله ﷺ وأنا أسبح غدوة ، ثم انطلق لحاجته ، ثم رجع قريبًا من نصف النهار وأنا أسبح ، فقال : ما زلت قاعدة ؟ قلت : نعم . فقال : ألا أعلمك كلمات لو عدل بهن ، أو لو وزن بهن وزنتهن ؟ - يعنى جميع ما سبحت - وهو سبحان الله عدد خلقه . ثلاث مرات ، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات ، وسبحان الله رضى نفسه ، ثلاث مرات ، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات .

وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة ، وقيل : سبعون ، وماتت سنة خمسين على الصحيح ، وقيل : سنة ست وخمسين ، ودفنت بالبقيع ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والى المدينة يومئذ .

عاشت جويرية أم المؤمنين بعد زواجها من الرسول ﷺ أكثر من خمس وأربعين سنة ، شهدت خلالها تغاير أزواجه صلى الله عليه وسلم ،

وتظاهرهن وتحزبهن ، فلم يؤثر عنها موقف إيجابى ، رغم وصف عائشة لها بالملاحة والحلاوة .

وشهدت الفتنة فى عهد عثمان ، وفى عهد على ، فلم يؤثر عنها أى موقف يؤخذ عليها ، مع أنها بنت سيد ، زعيم قومه .

ويستنبط من هذا أنها كانت هادئة الطبع ، لينة الجانب ، راضية بما عندها ، صابرة على ما يصيبها ، قانعة من الرسول ﷺ بليلتها ، وبشرف تزوجه منها بعد عتقه لها ، شاكرة فضله صلى الله عليه وسلم وفضل المسلمين على أهلها ، حتى قالت عائشة عنها : ما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية . أعتق فى سبيلها مائة أهل بيت – أى مائة طائفة كل واحدة منهن أهل بيت – من بنى المصطلق. فرضى الله عنها وأرضاها.

# السيدة صفية أم المؤمنين

• **نسبها وحالها قبل السبى :**

هى صفية بنت حيى بن أخطب من بنى إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام ، وأمها ضمرة بنت سموأل سيد بنى قريظة ، وكان أبوها من سادة بنى النضير احتمل ماله وأهله عن موطنه إلى خيبر .

كانت أولا تحت سلام بن مشكم القرظى ، ثم فارقها فكانت تحت كنانة بن أبى الحقيق ، فقتل عنها وهو عروس يوم خيبر ، ولم تلد لأحد منهما .

ولما جمع السبى يوم خيبر جاء دحية الكلبى ، فقال : يا رسول الله . أعطنى جارية من السبى . فقال له : اذهب فخذ جارية منه – وكأنه صلى الله عليه وسلم كان يقصد جارية من حواشى السبى لا أنفسه شرفًا ونسبًا – فأخذ صفية بنت حيى ، وكان سنها سبع عشرة سنة ، فجاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله . أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح إلا لك ، وخشى الرسول ﷺ تميز دحية بها ، وفى الجيش من هو أفضل منه ، فدعا دحية فقال له : خذ رأسًا آخر مكانها واصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ، فخرج بها من خيبر بعد أن طهرت من حيضتها ، فلما صار إلى منزل يقال له : "تبار" على ستة أميال من خيبر مال أن يعرس بها ، فأبت عليه ، فوجد النبى ﷺ فى نفسه من ذلك ، فلما كان بالصهباء ، وهى على اثنى عشر ميلا من خيبر أعرس بها هناك ، وبات عندها .

وبات أبو أيوب على باب النبى ﷺ ، ومعه سيفه ، فلما أصبح رسول الله ﷺ كبر ، فسأله ، فقال : يا رسول الله . كانت جارية حديثة عهد

بعرس ، وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها ، فلم آمن عليك ، فضحك رسول الله ﷺ ، وقال له : خيرًا .

قالت أم سليم : وغدونا عليها ، فسألنها عما رأت من رسول الله ﷺ فقالت : قال لى : ما حملك على الامتناع من النزول أولا ؟ قلت : خشيت عليك من قرب اليهود ، فسر بها ، ولم ينم تلك الليلة ، لم يزل يتحدث معها .

وعند الطبرانى عن ابن عمر أنها قالت : أتيت رسول الله ﷺ وما كان أبغض إلى منه ، قتل أبى وزوجى ، فما زال يقول : يا صفية . إن أباك ألب العرب ، وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسى .

ولما أصبح قال رسول الله ﷺ لأنس : من كان عنده شيء فليجئ به قال أنس : فبسط نطعًا ، فجعل الرجل يجيء بالأقط – جبن اللبن المستخرج زبده ، وقيل : لبن مجفف مستحجر – وجعل الرجل يجيء بالتمر ، وجعل الرجل يجيء بالسمن ، وجعل الرجل يجيء بالسويق ، فحاسوا – أى خلطوا – حيسًا – أى خلطوا التمر والسمن والأقط والسويق فكانت وليمة رسول الله ﷺ على صفية ، ولم يكن فيها خبز ولا لحم .

وروى أبو يعلى عن جابر قال : لما دخلت على رسول الله ﷺ فسطاطه حضر ناس وحضرت معهم ، فخرج صلى الله عليه وسلم فقال : قوموا عن أمكم ، فلما كان العشى خرج إلينا فى طرف ردائه نحو مد ونصف من تمر عجوة ، فقال : كلوا من وليمة أمكم .

وفى رواية عن أنس : قال الناس : لا ندرى أتزوجها أم جعلها أم ولد ؟ ثم قالوا : إن حجبها فهى إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل وطأ لها خلفه ، ومد الحجاب بينها وبين

الناس . وفى رواية : فرأيت النبى ﷺ يحوى لها وراءه بعباءة – أى يجعل العباءة لها حوية ودائرة – ثم يجلس عند بعيره ، فيضع ركبته لتركب ، فأجلت صفية رسول الله ﷺ أن تضع رجلها على فخذه ، فوضعت ركبتها على فخذه وركبت .

قال أنس : فانطلقنا حتى إذا رأينا جدار المدينة هششنا إليها ، فدفعنا مطايانا – أى أسرعنا بها – ودفع رسول الله ﷺ مطيته ، وصفية خلفه قد أردفها . قال أنس : فعثرت مطية رسول الله ﷺ ، فصرع وصرعت – أى وقع ووقعت – فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها – إجلالا واحترامًا – حتى قام رسول الله ﷺ فسترها ، قال : فدخلنا المدينة ، فخرج جوارى نسائه يتراءينها – أى ينظرن إليها – ويشمتن بصرعها .

وأنزلها الرسول ﷺ فى بيت لحارثة بن النعمان ، فسمع نساء المهاجرين والأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها ، فدخلن عليها متنكرات ، قالت أم سنان الأسليمة : فرأيت أربعًا من أزواج النبى ﷺ متنقبات : زينب بنت جحش ، وحفصة ، وعائشة ، وجويرية ، فأسمع زينب تقول لجويرية : يا بنت الحارث . ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله ﷺ ، فقالت جويرية : كلا . إنها من نساء قل ما يحظين عند الأزواج ، فلما خرجت عائشة خرج صلى الله عليه وسلم على إثرها ، فقال : كيف رأيت يا عائشة ؟ قالت : رأيت يهودية . قال : لا تقولى ذلك ، فإنها أسلمت وحسن إسلامها .

**٣٧١ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا** – أى فى أرضها قريبًا من ديارها – **صَلاَةَ الْغَدَاةِ** – الصبح – **بِغَلَسٍ** – أى بظلمة الليل مع ضوء النهار – **فَرَكِبَ نَبِىُّ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ** – ناقته وهو زوج أم أنس – **وَأَنَا رَدِيفُ أَبِى طَلْحَةَ ، فَأَجْرَى نَبِىُّ اللَّهِ ﷺ** – ناقته

- **فِى زُقَاقِ خَيْبَرَ ، وَإِنَّ رُكْبَتِى لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِىِّ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ حَسَرَ** - كشف - **الإِزَارَ عَنْ فَخِذِه** - بغير قصد ، فلا يستدل به على أن الفخذ ليس بعورة - **حَتَّى إِنِّى أَنْظُرُ إِلَى بياضِ فَخِذِ نَبِىِّ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا دخلَ القَرْيَةَ قَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ** - أى إن شاء الله ستخرب خيبر - **إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِين » . قَالَهَا ثَلَاثًا . قَالَ : وخرجَ القَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ** - وحقولهم وزراعتهم كعادتهم لا يظنون غزوا ولا هجومًا ، فرأوه ورأوا الجيش - **فَقَالُوا : مُحَمَّدٌ والخميس ، يَعْنِى الجَيْش ، قَالَ : فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً** - غلبة وحربًا وقهرًا ، وليس صلحًا - **فَجُمِعَ السَّبْىُ ، فَجَاءَ دِحْيَةُ ، فَقَالَ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ ، أَعْطِنِى جَارِيَةً مِنَ السَّبْىِ . قَالَ : « اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً » . فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَىٍّ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَىٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ . قَالَ : « ادْعُوهُ بِهَا » . فَجَاءَ بِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِىُّ ﷺ قَالَ : « خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْىِ غَيْرَهَا »** - وقال لها : إن شئت أسلمت وأمسكتك لنفسى ، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك ، قالت : لقد اهتديت إلى الإسلام وآمنت بك وصدقتك ، والله ورسوله أحب إلى من العتق ، فأمسكها النبى ﷺ - **قَالَ : فَأَعْتَقَهَا النَّبِىُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا . فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ، مَا أَصْدَقَهَا ؟ قَالَ : نَفْسَهَا** - أى عتقها صداقها - **أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ** - فى عودته إلى المدينة - **جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَصْبَحَ النَّبِىُّ ﷺ عَرُوساً ، فَقَالَ : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَىْءٌ** - من طعام - **فَلْيَجِئْ بِهِ » . وَبَسَطَ نِطَعاً** - أى بساطًا على الأرض - **فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِىءُ بِالتَّمْرِ ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِىءُ بِالسَّمْنِ** - **قَالَ : وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ** -

قَالَ : فَحَاسُوا حَيْساً – أى خلطوا هذه الأشيـــاء خلطًا – فَكَانَــتْ وليمةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ .

٦١٠ – وبلفظ : « أنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ إِذَا غزَا بِنَا قَوْماً لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ ويَنْظُرَ ، فَإنْ سَمِعَ أَذَاناً كَفَّ عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَاناً أَغارَ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلاً ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانَاً رَكِبَ وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِى طَلْحَةَ ، وَإِنَّ قَدَمِى لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِىِّ ﷺ . قَالَ : فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ – جمع مكتل وهو المغلق والمقطف الذى يعبئ فيه الفلاح التراب – وَمَسَاحِيهِمْ – فؤوسهم ، أى لم يتهيئوا بالسلاح للحرب – فَلَمَّا رَأَوُا النَّبِىَّ ﷺ قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَاللَّه ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ . قَالَ : فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ قَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » .

٩٤٧ – وبلفظ : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ صَلَّى الصُّبْحَ بِغَلَسٍ ، ثُمَّ رَكِبَ فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » . فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِى السِّكَكِ ، وَيَقُولُونَ : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ – قَالَ : وَالْخَمِيسُ الْجَيْشُ – فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ – غلبهم وانتصر عليهم – رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذَّرَارِىَّ ، فَصَارَتْ صَفِيَّةُ لِدِحْيَةَ الْكَلْبِىِّ – أولا – وَصَارَتْ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ – ثانيًا – ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ صَدَاقَهَا عِتْقَهَا .

٢٢٢٨ – وبلفظ : « كَانَ فِى السَّبْىِ صَفِيَّةُ ، فَصَارَتْ إِلَى دَحْيَةَ الْكَلْبِىِّ ﷺ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ » .

٢٢٣٥ – وبلفظ : « قَدِمَ النَّبِىُّ ﷺ خَيْبَرَ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَىٍّ بْنِ أَخْطَبَ ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا ،

وَكَانَتْ عَرُوساً ، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فَخَرَجَ بِهَا ، حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ – أى طهرت من حيضها ، وهذا هو الاستبراء بالنسبة للأمة ، حيضة واحدة – فَبَنَى بِهَا ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْساً فِى نِطَعٍ صَغِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ » . فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، قَالَ : فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّى لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ – أى يلفها ويجعلها وسادة – ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ ، حَتَّى تَرْكَبَ .

٢٨٨٩ – وبلفظ : « خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِىُّ ﷺ رَاجِعاً ، وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » . ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى صَاعِنَا وَمُدِّنَا » .

٢٨٩٣ – وبلفظ : « أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ لأَبِى طَلْحَةَ – زوج أم أنس – « الْتَمِسْ غُلاماً مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِى حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ » – أى فى هذه السفرة – فَخَرَجَ بِى أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِى ، وَأَنَا غُلامٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ – فى الاستراحات – فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيراً يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ – وثقله – وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ » . ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ... إلى آخر الحديث رقم : ٢٢٣٥ – وزاد : فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أُحُدٍ فَقَالَ : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّى أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِى مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ » .

٢٩٤٣ – وبلفظ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَوْماً لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَاناً أَمْسَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَاناً أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ ،

فَنزَلْنَا خَيْبَرَ لَيْلاً .

٢٩٤٥ – وبلفظ : « خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فَجَاءَهَا لَيْلاً ، وكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْماً بِلَيْلٍ لاَ يُغِيرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ، خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا ... إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » .

٢٩٩١ – وبلفظ : « صَبَّحَ النَّبِىُّ ﷺ خَيْبَرَ وَقَدْ خَرَجُوا بِالْمَسَاحِى عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا هَذَا مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ . فَلَجَئُوا إِلَى الْحِصْنِ ، فَرَفَعَ النَّبِىُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » . وَأَصَبْنَا حُمُرًا فَطَبَخْنَاهَا ، فَنَادَى مُنَادِى النَّبِىِّ ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ ، فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا » .

٣٠٨٥ – وبلفظ : « كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ عُسْفَانَ – مكان فى طريق خيبر إلى المدينة – وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَقَدْ أَرْدَفَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَىٍّ ، فَعَثَرَتْ نَاقَتُهُ فَصُرِعَا جَمِيعاً – وقعا عن الناقة على الأرض – فَاقْتَحَمَ أَبُو طَلْحَةَ – مكان الوقوع – فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : « عَلَيْكَ الْمَرْأَةَ » . فَقَلَبَ ثَوْباً عَلَى وَجْهِهِ وَأَتَاهَا ، فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا ، وَأَصْلَحَ لَهُمَا مَرْكَبَهُمَا فَرَكِبَا ، وَاكْتَنَفْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ – أى أحطنا به حماية له وخوفًا عليه من شرور الناقة – فَلَمَّا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ « آيِبُونَ – أى راجعون – تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » . فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ .

٣٠٨٦ – وبلفظ : « أَنَّهُ أَقْبَلَ هُوَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِىِّ ﷺ صَفِيَّةُ مُرْدِفُهَا عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَثَرَتِ

النَّاقَةُ ، فَصرِعَ النَّبِىُّ ﷺ وَالْمَرْأَةُ ، وَإِنَّ أَبَا طَلْحَةَ - قَالَ أَحْسبُ قَالَ - اقْتَحَمَ عَنْ بَعِيرِهِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءكَ هَلْ أَصَابَكَ مِنْ شَىْءٍ ؟ قَالَ : « لاَ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْمَرْأَةِ » . فَأَلْقَى أَبُو طَلْحَةَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَصَدَ قَصْدَهَا فَأَلْقَى ثَوْبَهُ عَلَيْهَا ، فَقَامَتِ الْمَرْأَةُ ، فَشَدَّ لَهُمَا عَلَى رَاحِلَتِهِمَا فَرَكِبَا ، فَسَارُوا - أى الرسول ﷺ وصفية وأبو طلحة - حَتَّى إِذَا كَانُوا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ - أَوْ قَالَ : أَشْرَفُوا عَلَى الْمَدِينَةِ - قَالَ النَّبِىُّ ﷺ « آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » . فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُهَا حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ .

٣٦٤٧ - وبلفظ : « صَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ بُكْرَةً وَقَدْ خَرَجُوا بِالْمَسَاحِى ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ . وَأَحَالُوا - أى تحولوا - إِلَى الْحِصْنِ يَسْعَوْنَ ، فَرَفَعَ النَّبِىُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » .

٤١٩٧ - وبلفظ : « أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً ، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْماً بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » .

٤١٩٨ - وبلفظ : « صَبَّحْنَا خَيْبَرَ بُكْرَةً ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالْمَسَاحِى ، فَلَمَّا بَصُرُوا بِالنَّبِىِّ ﷺ قَالُوا مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ... فَأَصَبْنَا مِنْ لُحُومِ الْحُمُرِ فَنَادَى مُنَادِى النَّبِىِّ ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ ، فَإِنَّهَا رِجْسٌ . والرجس النجس .

٤١٩٩ - وبلفظ : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ : أُكِلَتِ الْحُمُرُ . فَسَكَتَ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : أُكِلَتِ الْحُمُرُ . فَسَكَتَ ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ

فَقَالَ : أُفْنِيَتِ الْحُمُرُ – الظاهر أن سكوته كان انتظارًا للوحى ولو بالإلهام – فَأَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى فِى النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ . فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ ، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ .

٤٢٠٠ – وبلفظ : « صَلَّى النَّبِىُّ ﷺ الصُّبْحَ قَرِيباً مِنْ خَيْبَرَ بِغَلَسٍ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » . فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِى السِّكَكِ ، فَقَتَلَ النَّبِىُّ ﷺ الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ ، وَكَانَ فِى السَّبْىِ صَفِيَّةُ ، فَصَارَتْ إِلَى دِحْيَةَ الْكَلْبِىِّ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ ، فَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا . فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ لِثَابِتٍ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ آنْتَ قُلْتَ لأَنَسٍ مَا أَصْدَقَهَا ؟ فَحَرَّكَ ثَابِتٌ رَأْسَهُ تَصْدِيقاً لَهُ .

٤٢٠١ – وبلفظ : « سَبَى النَّبِىُّ ﷺ صَفِيَّةَ ، فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا . فَقَالَ ثَابِتٌ لأَنَسٍ : مَا أَصْدَقَهَا ؟ قَالَ : أَصْدَقَهَا نَفْسَهَا ، فَأَعْتَقَهَا » .

٤٢١٢ – وبلفظ : « أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَقَامَ عَلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَىٍّ ، بِطَرِيقِ خَيْبَرَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى أَعْرَسَ بِهَا – أى أقام فى المكان الذى أعرس فيه ثلاثة أيام ، لا أنه سار ثلاثة أيام ثم أعرس ، فقد كان إعراسه بها فى مكان بينه وبين خيبر ستة أميال – وَكَانَتْ فِيمَنْ ضُرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابُ » . قال بعضهم – أول ما اصطفاها – ستكون عنده جارية يطؤها بملك اليمين ، وقال آخرون : بل سيعتقها ويتزوجها كأم المؤمنين جويرية بنت الحارث ، ثم قالوا : العلامة الحجاب ، إن حجبها كانت زوجة ، فحجبها .

٤٢١٣ – وبلفظ : « أَقَامَ النَّبِىُّ ﷺ بَيْنَ خَيْبَرَ وَالْمَدِينَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ ، فَدَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَتِهِ ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ

وَلا لحْم . وَمَا كَانَ فِيهَا إلاَّ أنْ أمَرَ بِلالاً بِالأنْطاعِ فَبُسِطتْ ، فَألْقَى عَلَيْهَا التَّمْرَ وَالأقِطَ – اللبن المتجمد كالجبن – وَالسَّمْنَ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : إحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ أوْ مَا ملكتْ يَمِينُهُ ؟ قَالُوا : إنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ . فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ – مهد لها مكان ركوبها ، بأن حوى لها عباءة ، ثم أركبها – وَمَدَّ الْحِجَابَ – أقام بينها وبينهم الساتر .

٥٠٨٥ – وبلفظ الحديث رقم : ٤٢١٣ – وفيه : « فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّى لَهَا خَلْفَهُ وَمَدَّ الْحِجَابَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّاسِ » .

٥٠٨٦ – وبلفظ : « أعْتَقَ صَفِيَّةَ ، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا » .

٥١٦٩ – وبلفظ : « أعْتَقَ صَفِيَّةَ ، وَتَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا وَأوْلَمَ عَلَيْهَا بِحَيْسٍ » .

٥٣٨٧ – وبلفظ : « قَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْنِي بِصَفِيَّةَ ، فَدَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إلَى وَلِيمَتِهِ أمَرَ بِالأنْطَاعِ فَبُسِطَتْ فَألْقِيَ عَلَيْهَا التَّمْرُ وَالأقِطُ وَالسَّمْنُ . – وفي رواية عَنْ أنَسٍ بَنَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَنَعَ حَيْساً فِي نِطَعٍ .

٥٤٢٥ – وبلفظ الحديث رقم : ٢٨٩٣ وفيه : « حَتَّى إذَا كُنَّا بِالصَّهْبَاءِ صَنَعَ حَيْساً فِي نِطَعٍ ... اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا ... » .

٥٥٢٨ – وبلفظ : « أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ : أُكِلَتِ الْحُمُرُ . ثُمَّ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ : أُكِلَتِ الْحُمُرُ . ثُمَّ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ : أُفْنِيَتِ الْحُمُرُ – الظاهر أن الرجل في كل مرة غير الأول ؛ لأن النكرة إذا أعيدت نكرة كان الثاني غير الأول ، لكن ظاهر الحديث رقم : ٤١٩٩ يفيد أن الرجل واحد في المراجعات الثلاث – فَأمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى فِي النَّاسِ إنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأهْلِيَّةِ ، فَإنَّهَا رِجْسٌ . فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ

وإنَّها لَتفُورُ بِاللَّحْمِ .

٥٩٦٨ – وبلفظ : « أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ ، وَإِنِّى لَرَدِيفُ أَبِى طَلْحَةَ وَهُوَ يَسِيرُ وَبَعْضُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَثَرَتِ النَّاقَةُ فَقُلْتُ الْمَرْأَةَ . فَنَزَلْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّهَا أُمُّكُمْ » . فَشَدَدْتُ الرَّحْلَ وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا دَنَا أَوْ رَأَى الْمَدِينَةَ قَالَ : « آيِبُونَ تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا ، حَامِدُونَ » .

٦٣٦٣ – وبلفظ الحديث رقم : ٢٨٩٣ ، وفيه : « وَأَقْبَلَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَدْ حَازَهَا ، فَكُنْتُ أَرَاهُ يُحَوِّى وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ أَوْ كِسَاءٍ ، ثُمَّ يُرْدِفُهَا وَرَاءَهُ ... « اللَّهُمَّ إِنِّى أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا ...

وهناك أحكام يمكن استنباطها من الحديث برواياته منها :

جواز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ، وأن الإخبار بما يحصل من وراء الحاكم لا يعد دسيسة ، ومساعدة الرجل المرأة الأجنبية وإصلاح شأنها بدون خلوة إذا أمنت الفتنة ، ووصف الجمادات بما يوصف به الأحياء من الحب ونحوه . وأن حق العروس الثيب ثلاث ليال ، ورجوع ولى الأمر فى العطاء إذا كان فى ذلك مصلحة عامة ، وتكريم رسول الإسلام للمرأة ، يمهد لها مركبها ، ويحوى لها عباءته ، ويجلس فيجعل ركبته سلمًا لها تصعد عليها ، ويوصى بها مؤثرًا لها على نفسه . وفيه فضيلة ومكرمة لأم المؤمنين صفية – رضى الله عنها .

• **صفية فى بيته صلى الله عليه وسلم** :

عن ابن المسيب قال : قدمت صفية وفى أذنها خوص من ذهب ، فوهبت منه لفاطمة ولنساء معها .

وراح رسول الله ﷺ يدافع عنها لوحدتها وانقطاعها عن أهلها ،

ويحميها من تحفر منافساتها ، بل كثيرًا ما كان يشعرها بعطفه ، ويغمرها برعايته .

**٢٠٣٨ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ - رضى الله عنهما - أنّ صَفِيَّة زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِى الْمَسْجِدِ ، وَعِنْدَهُ أَزْوَاجُهُ ، فَرُحْنَ فَقَالَ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَىٍّ : « لاَ تَعْجَلِى حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكِ » . وَكَانَ بَيْتُهَا فِى دَارِ أُسَامَةَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا ، فَلَقِيَهُ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَنَظَرَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَجَازَا ، وَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ : « تَعَالَيَا ، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىٍّ » . قَالاَ : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّى خَشِيتُ أَنْ يُلْقِىَ فِى أَنْفُسِكُمَا شَيْئاً » .**

وروى عنها : حج النبى ﷺ بنسائه ، فلما كان ببعض الطريق برك جملى ، وكنت من آخرهن ظهرًا ، فبكيت فجاء صلى الله عليه وسلم ، وجعل يمسح دموعى بردائه وبيده ، وجعلت لا أزداد إلا بكاء ، وهو ينهانى ، فلما أكثرت زبرنى - أى منعنى ، وأغلظ فى نهيه.

وفى التظاهر استجابت صفية لخطة عائشة ، وقالت للنبى ﷺ حين دار عليها : أكلت مغافير ؟ إنى أشم منك ريح المغافير .

وكانت رضى الله عنها تجيد طهى الطعام حتى قالت عائشة : ما رأيت صانعة طعامًا مثل صفية .

واجتمع نساء النبى ﷺ عنده فى مرضه الذى توفى فيه ، فقالت صفية : إنى والله ، يا نبى الله ، لوددت أن الذى بك بى ، فغمز بها أزواجه فبصر بهن ، فقال : مضمضن . فقلن : من أى شيء ؟ قال : من تغامزكن بها ، والله إنها لصادقة .

**• حياتها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم :**

قال ابن عبد البر : كانت صفية عاقلة حليمة فاضلة ، روينا أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت : يا أمير المؤمنين . إن صفية تحب السبت ، وتصل اليهود ، فبعث إليها فسألها ، فقالت : أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله به يوم الجمعة ، وأما اليهود فإن لى فيهم رحمًا فأنا أصلها .

ثم قالت للجارية : ما حملك على هذا ؟ قالت : الشيطان . قالت لها صفية : اذهبى فأنت حرة .

وكانت تحاول صلة عثمان فى حصاره ، فلقيها الأشتر ، فضرب وجه بغلتها حتى مالت ، فقالت : ردونى . لا يفضحنى هذا .

ثم وضعت خشبًا بين منزلها ومنزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام له أيام الحصار .

قال الحافظ الدمياطى : ماتت فى رمضان سنة خمسين ، وقيل : سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع فى خلافة معاوية .

وخلفت ما قيمته مائة ألف درهم من أرض وعرض ، وأوصت لابن أخيها – وكان يهوديًا – بثلاثين ألفًا ، فلما ماتت أبوا أن يعطوه لأنه يهودى حتى كلمتهم عائشة زوج النبى ﷺ ، فأرسلت إليهم : اتقوا الله ، وأعطوه وصيته . رضى الله عنها وأرضاها .

رضي الله عنها

## السيدة أم حبيبة أم المؤمنين

### • نسبها وحياتها قبل الرسول ﷺ :

هى أم حبيبة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، فاجتمعت معه صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف .

واسمها رملة أو هند ، وأمها صفية بنت أبى العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان .

وكانت تحت عبيد الله بن جحش ، ابن عمة الرسول ﷺ .

أسلم زوجها فأسلمت معه ، وخشيت أذى أبيها – وكان رأس الشرك بمكة – وأذى الكفار بها فهاجرت هى وزوجها إلى الحبشة – الهجرة الثانية – وكان معها ابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش ، وقيل : ولدتها بأرض الحبشة حيث خرجت من مكة ، وهى حامل بها .

وارتد عبيد الله بن جحش عن الإسلام ، واعتنق النصرانية دين الأحباش ، وتمسكت هى بدينها ، ومات هناك على نصرانيته بعد أن أكب على الخمر .

وعلم الرسول العربى الكريم ﷺ بما آلت إليه أم حبيبة ، تلك السابقة المهاجرة التى لم تمنعها شوكة أبيها من الإسلام ، ولم يستطع زوجها بتنصره أن يردها عن دينها ، فراغمت بذلك أباها وأهلها بمكة ، ثم زوجها بالحبشة ، فأصبحت فى مهجر بعيدة عن وطنها وآلها ، وحيدة حتى من زوجها التى استندت إليه ، وخرجت فى صحبته .

علم الرسول ﷺ ذلك ، فضرب المثل الأعلى فى الشهامة والنجدة ، ومد إليها يدا كريمة تأسو جراحها ، وتؤنس وحدتها ، وتعوضها عن شرف

أبيها ، وترفعها إلى أسمى زوجة ، وتضعها فى أعز طائفة من النساء ، أرسل إليها عمرو بن أمية الضمرى ، أرسله بكتاب إلى النجاشى فى ربيع الأول سنة سبع من الهجرة يطلب إليه أن يزوجه أم حبيبة ، وأن يبعث بها وبمن بقى عنده من أصحابه .

فبعث النجاشى إليها جاريته "أبرهة" يقول لها : إن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يزوجك منه ، فوكلى من يزوجك ، فأعطت "أبرهة" حين بشرتها سوارين من فضة وخدمتين كانتا فى رجليها – أى خلخالين – وخواتيم فضة كانت فى أصابع رجليها سرورًا بما بشرتها ، وأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية من السابقين الأولين ، وهو ابن عم أبيها فوكلته ، فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن معه هناك من المسلمين ، فحضروا ، فخطب النجاشى فقال : الحمد لله الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

"أما بعد" فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه "أم حبيبة" فأجبت وقد أصدقتها أربعمائة دينار ذهبًا – فعل ذلك استعمالا لأخلاق الملوك ، وما بعث إليه صلى الله عليه وسلم بشيء – ثم سكب الدنانير بين يدى القوم .

فتكلم خالد بن سعيد ، فقال : الحمد لله . أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

"أما بعد" فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فبارك الله لرسوله ﷺ فيها ، ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد ابن سعيد ، فقبضها ، ثم أرادوا أن ينصرفوا ، فقال النجاشى : اجلسوا

فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ، ثم انصرفوا .

زاد ابن سعد : قالت أم حبيبة : فلما وصل إلىَّ المال أعطيت "أبرهة" منه خمسين دينارًا ، وقلت لها : إنى قد أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدى ، فأبت ، وأخرجت حقًّا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته على ، وقالت : عزم على الملك ألا أرزأك شيئًا ، وأنا التى أقوم على ثيابه ودهنه وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ ، وأسلمت لله ، وقد أمر الملك نساءه ، أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر ، قالت : فلما كان من الغد جاءتنى بعود ، وورس – نبات كالسمسم نافع للكلف شربًا – وعنبر ، وزباد – أى طيب – كثير ، فقدمت بذلك كله على النبى ﷺ ، فكان يراه على وعندى فلا ينكره ، ثم قالت أبرهة : فحاجتى إليك أن تقرئى رسول الله منى السلام ، وتعلميه أنى قد اتبعت دينه ، قالت : ثم لطفت بى ، وكانت التى جهزتنى ، فكلما كانت دخلت علىَّ تقول : لا تنسى حاجتى إليك ، قالت : فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة ، وما فعلت بى "أبرهة" فتبسم رسول الله ﷺ ، وأقرأته منها السلام ، فقال : وعليها السلام ورحمة الله وبركاته .

### • أم حبيبة بعد قدومها على الرسول ﷺ :

لم يمض على دخوله صلى الله عليه وسلم بصفية بضعة أيام حتى كانت الزوجة الثامنة فى انتظاره ، فقد قدم من الحبشة السابقون المهاجرون إليها فى سفينتين محملتين ، قدموا المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ بخيبر ، أتوا وقد انتصر المسلمون على اليهود ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما أدرى بأيهما أنا أسر ؟ قدوم جعفر أو فتح خيبر ؟ وأدخل المسلمون جعفرًا ومن قدم معه فى أسهم غنيمة خيبر .

كانت الزوجة الجديدة تناهز الأربعين من عمرها فقد قال صاحب الإصابة : إنها ولدت قبل المبعث بسبعة عشر عامًا ، وقد حنكتها التجارب، وعلمتها الشدائد الكياسة والحكمة والاتزان ، جاءت بيت الرسول ﷺ فوجدت ضرائرها ، وقد سبقنها بالحظوة وشرف الهجرة ، جاءت فوجدت الأزواج حزبين ، فلم تتردد فى الانضمام إلى حزب صديقتها "أم سلمة" ، نعم قصر مقامها عند رسول الله ﷺ ورزانتها حالا دون قيامها أو بروزها فى منازعات التنافس والتغاير .

وكما أُسر عن أبيها الشهامة وتقدير الأمور حق قدرها ، وتنزيل الناس منازلهم ولو كانوا خصمًا حين قيل له : إن محمدًا قد نكح ابنتك . قال : هو الفحل لا يقدع أنفه - أى لا يضرب أنفه - أثر عنها موقف عظيم ، يدل على شدة تمسكها بدينها ، وحبها له حبًّا فوق حبها لأبيها وقومها . ذلك أن أبا سفيان جاء يطلب من الرسول ﷺ أن يزيد فى هدنة الحديبية ، والرسول ﷺ يريد فتح مكة ، فلم يقبل عليه صلى الله عليه وسلم فقام فدخل على ابنته أم حبيبة يستعين بها على مد الهدنة عشر سنين ، وهى تعلم أن النبى ﷺ يتأهب لفتح مكة ، فلم تشأ أن تحذر أباها بما ينتظره وما يبيت له ولأهل مكة من عتاة المشركين ، وهى تؤمن أن محمدًا سينتصر ، وأن فى انتصاره القضاء على أبيها وعلى عشيرتها ، لم تشأ أن تحذر أباها لئلا تفشى سر خطة الرسول ﷺ ، وكان هذا الموقف كافيًا لأن يكون مفخرة أى مفخرة لأم المؤمنين ، لكنها ضمت إليه ما هو أكرم وأعظم ، فقد روى أن أباها لما جاء ليجلس غلى الفراش عندها أسرعت فاختطفت الفراش وطوته ، وسألها أبوها فى دهشة : أى بنية . هل رغبت بى عن الفراش ؟ أم رغبت بالفراش عنى ؟ فقالت : إنه فراش رسول الله ﷺ ، فلم أحب أن تجلس عليه وأنت رجل مشرك . فانصرف

غاضبًا لما لقيه من إبنته ولما لقيه من الرسول ﷺ ومن المسلمين .

وفى عبادتها يروى مسلم عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من صلى ثنتى عشرة ركعة فى يومه وليله بنى له بيت فى الجنة . قالت : فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ .

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : دعتنى أم حبيبة عند موتها، فقالت : قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك ، فقلت : غفر الله لك ذلك كله وتجاوز ، وحللك من ذلك . فقالت : سررتنى سرك الله ، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين ، وقيل سنة اثنتين وأربعين ، وقيل : قبرت بدمشق ، والصحيح أنها قبرت بالمدينة . رضى الله عنها وأرضاها .

## السيدة ميمونة أم المؤمنين

### • نسبها وحالها قبل الرسول ﷺ :

هى ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤبة بن عبد الله بن هلال بن عامر الهلالية ، نسبة إلى جدها الأعلى هلال بن عامر.

وأمها هند ، وقيل : خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن جرش .

وهى أخت سلمى بنت عميس لأمها زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، وأخت لبابة الكبرى بنت الحارث المكناة بأم الفضل التى قيل عنها : إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة والتى ولدت للعباس الفضل وعبد الله الفقيه وعبيد بن العباس وعبد الرحمن .

وهى أخت أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبى طالب لأمها ، هاجرت معه إلى الحبشة ، وقدمت معه المدينة ، فلما استشهد فى غزوة مؤتة تزوجها أبو بكر ، فولدت له محمدًا يوم خرج الرسول ﷺ فى حجة الوداع، وبعد وفاة أبى بكر تزوجت عليًا فولدت له يحيى .

وكانت ميمونة قبل النبى ﷺ عند أبى رهم بن عبد العزى ، فمات عنها .

### • زواج الرسول ﷺ منها :

بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من خيبر ، وفى شوال من السنة السابعة أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم ، وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف من أهلها أحد وهو حى .

وتوجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمرًا ، ولما فرغ من عمرته وصفها له العباس بن عبد انمطلب ، وقال : قد تأيمت من أبى رهم ، فتزوجها صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها عنه عمه العباس أربعمائة درهم وقد وصلتها خطبته صلى الله عليه وسلم وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسول له ، فقال بعضهم : هى الواهبة نفسها للنبى ﷺ وقدر المعنى البعير وما عليه هبة لله ولرسوله ، والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها .

وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثًا ، فأتاه حويطب بن عبد العزى وسهيل بن عمرو فى نفر من قريش ، فقالوا له : يا محمد . اخرج عنا فاليوم آخر شرطك – وكان شرط الحديبية أن يعتمر من قابل ، ويقيم بمكة ثلاثًا – فقال : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعت لكم طعامًا فحضرتموه ، فقالوا : لا حاجة لنا بك ولا بطعامك ، فغضب سعد بن عبادة ، وقال لسهيل : كذبت لا أم لك ، ليس بأرضك ولا أرض أبيك ، والله لا يبرح إلا طائعًا راضيًا . فتبسم صلى الله عليه وسلم ، وقال: يا سعد ، لا تؤذ قومًا زارونا فى رحالنا . فخرج صلى الله عليه وسلم وخلف أبا رافع على ميمونة ، فأقام حتى أمسى ، فخرج بها ، فلقيت من سفهاء مكة عناء ، فأتاه بها بسرف – مكان على طريق مكة – المدينة قبل تحويله إلى جدة على بعد ستة أميال من مكة قرب المكان المعروف بالتنعيم وكانت لها قبة هناك ، فبنى بها صلى الله عليه وسلم بسرف – وكانت معه فى هذه الرحلة زوجه "أم سلمة" وكانت أم المؤمنين ميمونة آخر امرأة تزوج بها صلى الله عليه وسلم ، ودخل بها .

قال "إيرفنج" فى كتابه "حياة محمد" : إن النبى لم يتزوج بميمونة بنت الحارث إلا سياسة يريد بها استمالة رجلين قويين ؛ لأن ميمونة كانت أرملة

مسنة تبلغ من العمرة إحدى وخمسين سنة ، وهذان الرجلان هما خالد بن الوليد ابن أخت ميمونة ، وهو البطل المشهور الذى حارب محمدًا فى غزوة أحد ، ولما أسلم سمى سيف الله المسلول ، وصديقه عمرو بن العاص .

**• حياتها بعد زواجها من النبى ﷺ :**

توفيت بمكة ودفنت بسرف باتفاق ، واختلف فى سنة وفاتها . والجمهور على أنها توفيت سنة إحدى وخمسين ، ونقل ابن سعد عن الواقدى أنها ماتت سنة إحدى وستين ، وقال : هى آخر من مات من أزواجه صلى الله عليه وسلم . اهـ .

وعن عطاء قال : حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف ، فقال ابن عباس : هذه زوجة النبى ﷺ ، فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا – يشير إلى السير الوسط المعتدل – قال عطاء : كانت ميمونة آخرهن موتًا .

وعن زيد بن الأصم قال : دفنا ميمونة بسرف فى الظلة التى بنى بها فيها رسول الله ﷺ ، فنزلنا فى قبرها أنا وابن عباس ، فلما وضعناها مال رأسها ، فأخذت ردائى فوضعته تحت رأسها ، فانتزعه ابن عباس ، فألقاه ووضع تحت رأسها حجرًا . رضى الله عنها وأرضاها .

تلك نبذة عاجلة لأزواج النبى ﷺ أمهات المؤمنين ، ذكرناها هنا لندفع شبهة المستشرقين والمفترين أن محمداً كان شهوانياً ، وضم هذا العدد من النساء بدافع الشهوة ، ذكرنا ظروف زواج كل واحدة منهن لنبرز الهدف الأسمى من هذا الزواج وأنه الشهامة والنجدة والإيواء والتشريف لمن صاهرهم.

ذكرنا هذه النبذة لنبرز المثل العليا فى الحياة الزوجية تسعة بيوت متلاصقة حول المسجد تضم تسعاً من النساء منهن الصبية التى لم تتجاوز السادسة عشرة، والعجوز التى تناهز الستين ، منهن ذات الحسب والنسب كابنة عمته ، وابنة زعيم قريش أبى سفيان وابنة أبى بكر، وابنة عمر ، وزوجتان كانتا من السبايا، كانتا أمتين يهوديتين ، خليط عجيب يراد التعامل معه مع توفير جو الهدوء والاستقرار .

ونعيد قولاً سابقاً ونكرره لنؤكده، فنقول:

نخطئ إذا تصورنا أن نساء النبى ﷺ غير نساء البشر، فهن منهن ، لم تُعَدَّ إحداهن إعداداً خاصاً لبيت الرسالة، بل كل واحدة منهن كانت زوجة لرجل آخر قبل أن يتزوج بها صلى اللّه عليه وسلم فيما عدا عائشة بنت أبى بكر ، ونخطئ إذا تصورنا أنهن كن معصومات أو مبرءات من أخطاء يقع فيها عامة النساء ، لكن كل واحدة منهن حينما تصير زوجة للنبى ﷺ يرتفع قدرها فتعظم صغيرتها ، ويطلب منها من التكاليف فوق ما يطلب من غيرها من نساء الأمة ، فحسنتها تكريماً لها تحسب حسنتين ، وسيئتها – لمقامها – تحسب سيئتين ، وفى هذا يقول اللّه تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [1] ، ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [2].

---

(1) سورة الأحزاب ، آية : ٣٢ .

(2) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

## مهام الرسول ﷺ بالمدينة

كانت مهمة الرسول ﷺ بمكة تلقي الوحي ، وتبليغ الرسالة لمن يمكن تبليغهم ، وتحمل الأذى من المشركين المحاربين للدعوة .

أما في المدينة فقد أضيف إلى هذه المهمة مهام أخرى جديدة أولاها وأهمها كيفية التعامل مع هؤلاء المشركين المحاربين للدعوة وقد أخرجوه هو والمسلمين من ديارهم وأموالهم ، وظلوا يلاحقونهم بالأذى في أهليهم المستضعفين ، وأخذوا يهاجمونهم بحرب معلنة في المدينة ، ويؤلبون عليهم قبائل العرب واليهود .

تكلمنا كيف أمَّن الجبهة الداخلية في مجتمع المدينة ، بعقد عهد بين يهودها وبين الأوس والخزرج والمهاجرين ، وكيف آخى بين المهاجرين والأنصار ، وكيف عقد اتفاقًا به يتعايش المهاجرون مع الأنصار ملاك الأرض وخيراتها بعملهم في أرض الأنصار وكفايتهم مؤنتها مقابل نصف الثمر ، وكيف غرس في نفوس الأنصار حب من هاجر إليهم حتى لا يجدوا في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثروهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

وكيف بنى مسجده صلى الله عليه وسلم كأول جامعة إسلامية عهد إليها بوظائف مصالح الدولة عمومًا .

وكيف أخذ نور الإسلام يشع وينتشر من هذا المصدر على المدينة وما حولها .

وكيف أحل المرأة المسلمة المحل اللائق بها إنسانية ودينًا ، وفقهًا وتعاملا ، وأعدها لتربي جيلا يحمل لواء هذا الدين .

وكيف أعد لنفسه بيوتًا وزوجات يهيئن له راحة البال والمودة والسكن ؛ ليتفرغ للمهام الجسام ، ولأداء الرسالة العظمى التى اختاره الله لها .

كان عليه صلى الله عليه وسلم مسئولية مساعدة وإنقاذ المستضعفين بمكة الذين يسجنون ويعذبون ، ولا يمكنون من الهجرة إلى المدينة ، فدعا لهم ، وبذل جهده لإخراجهم .

كان عليه أن يأوى من لا مأوى له من المسلمين المهاجرين إلى المدينة ، والذين عرفوا بأهل الصفة .

كان عليه أن يتعامل مع مشركى قريش وزعماء الكفر ومن تحزّب معهم فى حروب وغزوات ، وأن يبعث البعوث والسرايا ؛ ليؤمن أهل المدينة من المهاجمين . كما كان عليه أن يتعامل مع المشركين فى غير الحروب .

كما كان عليه أن يتعامل مع المؤلفة قلوبهم تعاملا يحبب الإيمان فى قلوبهم .

كان عليه أن يتعامل مع يهود المدينة الذين رفضوا الإسلام وحاربوه المعاملة التى يؤمّن بها ظهر المسلمين من أعدائهم الذين يعيشون بينهم ويتعاملون معهم .

كان عليه صلى الله عليه وسلم أن يتعامل مع الأعداء الجدد المعروفين بالمنافقين ، وقد أظهروا الإسلام ، وأبطنوا الكفر ، وحاربوا المسلمين بسلاح الخيانة والغدر ، يمسكن فى أيديهم غصن الزيتون ويثنون صدورهم على السلاح والإفساد .

كان عليه صلى الله عليه وسلم أن يتعامل مع أصحابه على ضوء الإسلام وشريعته ، يزيل شبههم ، ويجيب عن أسئلتهم ، ويصحح مسيرتهم ، ويبلغهم أولا بأول ما أوحى إليه من دينهم ، يراقب مدى استجابتهم ، ويقوى ضعفهم ، ويعالج كسرهم .

حتى الصبية لهم عليه حق الحنان والرأفة والمحبة والرحمة والرضوان .

صلى الله عليك وسلم يا رسول الله . نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصرت الأمة ، وكشفت الغمة ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين .

سنعرض نبذة عن قيامك بهذه المهام . مهمة مهمة ، حتى تركت الدولة الإسلامية على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، والله الهادى سواء السبيل .

**المهمة الأولى : المستضعون بمكة** ، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهم فى صلاته ، ففى الحديث :

**٨٠٤ – قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ يَقُولُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ . يَدْعُو لِرِجَالٍ فَيُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَيَقُولُ : « اللَّهُمْ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِى رَبِيعَةَ ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِى يُوسُفَ » . وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ مِنْ مُضَرَ مُخَالِفُونَ لَهُ .**

ويدعو الله أن يفك أسرهم ، يذكرهم بأسمائهم فى قنوت صلاته ، كما يصرح بذلك الحديث :

٤٥٦٠ – عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ﷺ قال : إنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إذا أرادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ أَوْ يَدْعُوَ لأَحَدٍ قَنَتَ بَعْدَ الرُكُوعِ ، فَرُبَّمَا قَالَ إِذَا قَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِى رَبِيعَةَ ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِى يُوسُفَ » . يَجْهَرُ بِذَلِكَ وَكَانَ يَقُولُ فِى بَعْضِ صَلاَتِهِ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ : « اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاَنـاً وَفُلاَنـاً » . لأَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [1] الآيَةَ .

٤٥٩٨ – وعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَا النَّبِىُّ ﷺ يُصَلِّى الْعِشَاءَ إِذْ قَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » . ثُمَّ قَالَ : قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ : « اللَّهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِى رَبِيعَةَ ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِى يُوسُفَ » .

أما الوليد فهو الوليد بن المغيرة ، وهو أخو خالد بن الوليد ، شهد بدرًا مع المشركين ، وأسر ، وفداه أخواه خالد وهشام بأربعة آلاف درهم ، فلما افتكاه أسلم ، فقيل له : هلا أسلمت قبل أن تفتدى وأنت مع المسلمين ؟ قال : كرهت أن تظنوا بى أنى جزعت من الأسر ، فحبسوه بمكة ، فكان النبى ﷺ يدعو له فيمن دعا له من المستضعفين بمكة ، ثم أفلت من أسرهم وخرج على رجليه فطلبوه فلم يدركوه ، تواعد هو وسلمة وعياش عند سرف ، وقالوا : أينا لم يصبح عند سرف – موضع بينه وبين مكة سبعة أميال – فقد حبس ، فليمض صاحباه ، فحبس هشام ، ووصل المدينة الوليد

---

( ١) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

وعياش ، وكان الوليد سببًا فى إسلام أخيه خالد عند فتح مكة إذ طلب له الأمان ، ورغبه فى الإسلام .

**وأما عياش** فقد قدم عليه أخواه لأمه ، أبو جهل والحارث ، فذكرا له أن أمه حلفت أن لا يدخل رأسها دهن ولا تستظل حتى تراه ، فرق لها ، وقال : أبر قسم أمى ، ولى هناك مال فآخذه ، وخرج معهما ، فلما كانا ببعض الطريق ، ونزلوا للراحة عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ودخلا به مكة نهارًا ، ثم قالا : يا أهل مكة . هكذا فاعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

**وأما سلمة بن هشام بن المغيرة** أخو أبى جهل فقد حبسه الكفار عند الهجرة ، وآذوه بعد أن رجع من هجرة الحبشة .

وكان كثير غير هؤلاء من المستضعفين المحبوسين فى مكة ، منهم عبد الله بن سهيل هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم رجع إلى مكة ، فأخذه أبوه وأوثقه عنده ، وفتنه فى دينه ، فأظهر عدم الإسلام وخرج مع أبيه سهيل بن عمرو يوم بدر ، فلما نزل رسول الله ﷺ بدرًا انسل من بين المشركين ، وهرب إلى رسول الله ﷺ مسلمًا ، وشهد معه بدرًا والمشاهد كلها ، وأخذ الأمان لأبيه يوم فتح مكة .

وفى المستضعفين نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا

غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [١].

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما :

**٤٥٨٨ - عَنِ ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَلاَ ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [٢] قَالَ كُنْتُ أَنَا وَأُمِّى مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ .**

ومن هذه المهمة الصعبة مساعدته صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسى الذى كان حرًّا ، وكان ابن ملك من رامهرمز خرج يبحث عن الدين الحق ، فقبض عليه بعض العرب ، فظلموه وباعوه ، فكاتب سيده بنصيحة من رسول الله ﷺ .

**٣٩٤٦ - عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِىِّ أَنَّهُ تَدَاوَلَهُ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْ رَبٍّ إِلَى رَبٍّ .**

ومن هذه المهمة الصعبة خباب بن الأرت ، أسلم قديمًا وكان من المستضعفين ، وهو أول من أظهر إسلامه ، وعذب عذابًا شديدًا ، وكان حدادًا يعمل السيوف ، وكان قد عمل سيوفًا للعاص بن وائل ، فجاء إليه يتقاضاه أجرها ، فقال له يا خباب : أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ؟ قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب حتى أدخل الجنة فأقضيك هناك حقك . وفى رواية :

**٤٧٣٢ - قَالَ خَبَّابٌ ﷺ : جِئْتُ الْعَاصِىَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِىَّ أَتَقَاضَاهُ حَقًّا لِى عِنْدَهُ ، فَقَالَ : لاَ أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ . فَقُلْتُ : لاَ حَتَّى تَمُوتَ**

---

(١) سورة النساء – الآيات : ٩٧- ٩٩ .

(٢) سورة النساء – الآية ٩٨ .

ثُمَّ تُبْعَث . قَالَ : وإنِّى لَمَيِّتٌ ، ثُمَّ مَبْعُوثٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : إنَّ لِى هُنَاكَ مَالاً وولَداً فأَقْضِيكَهُ . فنزلتْ هَذه الآيَةُ ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [1] .

٤٧٣٣ - وعَنْ خَبَّاب قَالَ : كُنْتُ قَيْناً بِمَكَّة ، فَعَمِلْتُ للعَاصِى بْن وَائِلِ السَّهْمِىِّ سَيْفاً ، فَجِئْتُ أَتَقَاضَاهُ فقال : لا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّد . قُلْتُ : لا أَكْفُرُ بِمُحمَّدٍ ﷺ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُحْيِيكَ . قَالَ : إِذَا أَمَاتَنِى اللَّهُ ، ثُمَّ بَعَثَنِى ، ولِى مَالٌ وولَدٌ . فأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [2] .

ومن هذه المهمة الصعبة كانت مشكلة المؤمنات زوجات الكفار إذا هاجرن ، أو منعن من الهجرة وكن من المستضعفات .

**المهمة الثانية : رعاية من هاجر إلى المدينة** مؤمناً ولا عمل له ، ولا أهل له بالمدينة ينزل عليهم ، ولا يعرف أحدًا يساعده ، وقد بلغوا السبعين أو يزيدون ، وقد أعد لهم رسول الله ﷺ بالمسجد مكاناً فى مؤخرته مظللا يعرف بالصفة ، وقد ذكرنا نبذة عنهم فى الوظيفة الخامسة من وظائف المسجد النبوى .

**المهمة الثالثة : التعامل ~~بالحلم والإحسان~~ مع المشركين** الذين آذوه صلى الله عليه وسلم ، وآذوا المسلمين حتى أخرجوهم من ديارهم

---

( ١) سورة مريم الآية : ٧٧ .

( ٢) سورة مريم الآيتان : ٧٧ ، ٧٨ .

وأموالهم ، ولاحقوهم فى هجرتهم وبعد هجرتهم ، وأخذوا يهاجمونهم فى مدينتهم ويؤلبون العرب واليهود على حربهم .

لقد رسم القرآن الكريم إطارًا محددًا لمعاملة المشركين غير المحاربين ، وإطارًا محددًا لمعاملة المشركين المحاربين ، إذ قال : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١) .

فتعامل معهم رسول الله ﷺ وأصحابه - رضى الله عنهم - بما يستحقون أن يعاملوا به من حزم وقوة وقسوة حيث غدروا وقسوا ، أو حاربوا بجيوشهم ، وتعامل بالإحسان والحلم مع من يأمل فيهم الخير والإسلام ، وسنفرد للحرب بابًا بعنوان الجهاد فى سبيل الله ، وسنخصص هذا الفصل لمعاملة الجذب إلى الإسلام أفرادًا أو مجموعات ، ومعاملة الزجر وغرس رهبة الإسلام فى قلوب المجرمين الجبناء الذين يحلو لهم العبث بأمن المسلمين كما يقص الحديث :

**٢٣٣ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ ، فَأَمَرَهُمْ النَّبِىُّ ﷺ بِلِقَاحٍ ، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا ، فَانْطَلَقُوا ، فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِىَ ﷺ وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ ، فَجَاءَ الْخَبَرُ فِى أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَبَعَثَ فِى آثَارِهِمْ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِىءَ بِهِمْ ، فَأَمَرَ فَقَطَعَ**

---

(١) سورة الممتحنة - الآيتان ٨- ٩ .

**أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ ، وَأُلْقُوا فِى الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ ، فَلا يُسْقَوْنَ . قَالَ أَبُو قِلابَةَ : فَهَؤُلاءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .**

هؤلاء كانوا سبعة أو ثمانية من قبيلتين عربيتين. جاءوا إلى النبى ﷺ فبايعوه على الإسلام وأنزلهم الصفة ، فكرهوا المقام بها ، وأصابهم فيها الوباء والسقام والهزال الشديد ، فقالوا : يا رسول الله . إنا كنا أهل ضرع، نعيش على اللبن ، فاطلب لنا لبنًا . قال : لا أجد لكم إلا أن تخرجوا مع إبل الصدقة إلى المراعى – وكانت خمس عشرة ناقة – فتشربوا من ألبانها وأبوالها – احتج به من قال بطهارة بول الإبل وما يؤكل لحمه ، وهو قول مالك وأحمد ، وأما الجمهور فقالوا : أذن لهم فى شربها وهى نجسة للتداوى – فخرجوا مع الراعى ، وشربوا ، وصحت أجسامهم ، فقتلوا أحد الراعيين ، وسمروا وفقأوا عين الآخر ، وأخذوا الإبل وهربوا ، فذهب الراعى إلى النبى ﷺ يصرخ فى أول النهار ، فندب النبى ﷺ سرية من عشرين فارسًا من الشباب تتبعت آثارهم ، فأدركوهم فى ذات اليوم ، فجاءوا بهم قبل أن يقع النهار ، وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام ، وقطعوا الطريق ونهبوا ، وحاربوا الله ورسوله وقتلوا ، وأخافوا وسمروا الأعين ، فكان جزاؤهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وأن يقتص منهم فتفقأ عيونهم ، وأن يلقوا فى الصحراء وعلى حجارتها السوداء حتى ماتوا ألمًا وعطشًا ، إذ لم يؤدوا شكر نعمة اللبن والإرواء .

كان من الحكمة أن يعاملوا هذه المعاملة القاسية ؛ ليعم الأمن ، ويزول من الصحابة الخوف ، ويتعظ بهم كل من تسول له نفسه أن يقابل الإحسان بالإساءة وأن يسيء ويستهين بالإسلام وبالمسلمين .

وسنرى قريبًا عند الكلام على غزوة ذى قرد أنهم لما اقتصروا على نهب الإبل واستاقوها اكتفى المسلمون باستردادها ، وأمر الرسول ﷺ سلمة ابن الأكوع أن يعفو عند القدرة . وهكذا كان الحزم والقسوة جزاء الردة والعفو والإحسان عندما تقتصر الجريمة على الأموال ، عملا بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [1] .

وحين تكون الجريمة ممن لا يقدر عليه ، لشوكته وقوته ، أو لبعده ، يكون اللجوء إلى الله بالدعاء عليهم هو الوسيلة المتاحة، كما حدث فى قصتين متقاربتين زمانًا ومكانًا عرفت إحداهما بيوم الرجيع وعرفت الأخرى بسرية القراء ، أو سرية بئر معونة ، ويحكى الأولى الحديث :

٣٠٤٥ – عَنِ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْناً ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ وَهْوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَىٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيباً مِنْ مِائَتَىْ رَجُلٍ ، كُلُّهُمْ رَامٍ ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْراً تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا : هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ . فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا لَهُمُ انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ ، وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ ، وَلاَ نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَداً . قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ : أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لاَ أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِى ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ. فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا عَاصِماً فِى سَبْعَةٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ

---

(١) سورة النحل – الآية : ١٢٦ .

وَالْميثَاق ، منْهُمْ خُبَيْبٌ الأنْصَارِىُّ وَابْنُ دثنة وَرَجُلٌ آخَرُ ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا منْهُمْ أطْلَقُوا أوْتَارَ قسيِّهِمْ فَأوْثَقُوهُمْ . فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالثُ: هَذَا أوَّلُ الْغَدْرِ ، وَاللَّه لا أصْحَبُكُمْ ، إنَّ فى هَؤُلاء لأسْوَة . يُريدُ الْقَتْلى ، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أنْ يَصْحَبَهُمْ فَأبَى فَقَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقُوا بخُبَيْب وَابْن دثنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بمكَّةَ بَعْدَ وَقْعَة بَدْر ، فَابْتَاعَ خُبَيْباً بَنُو الْحَارث بْن عَامر بْن نَوْفَل بْن عَبْد مَنَاف ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارثَ بْنَ عَامر يَوْمَ بَدْر ، فَلَبثَ خُبَيْبٌ عنْدَهُمْ أسيراً ، فَأَخْبَرَنى عُبَيْدُ اللَّه بْنُ عيَاض أنَّ بنْتَ الْحَارث أخْبَرَتْهُ أنَّهُمْ حينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ منْهَا مُوسَى يَسْتَحدُّ بهَا فَأعَارَتْهُ ، فَأخَذَ ابْناً لى وَأنَا غَافلَةٌ حينَ أتَاهُ قَالَتْ : فَوَجَدْتُهُ مُجْلسَهُ عَلَى فَخذه وَالْمُوسَى بيَده ، فَفَزعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فى وَجْهى فَقَالَ : تَخْشَيْنَ أنْ أقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأفْعَلَ ذَلكَ . وَاللَّه مَا رَأيْتُ أسيراً قَطُّ خَيْراً منْ خُبَيْب ، وَاللَّه لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأكُلُ منْ قطْف عنَب فى يَده ، وَإنَّهُ لَمُوثَقٌ فى الْحَديد ، وَمَا بمَكَّةَ منْ ثَمَر وَكَانَتْ تَقُولُ : إنَّهُ لَرزْقٌ منَ اللَّه رَزَقَهُ خُبَيْباً ، فَلَمَّا خَرَجُوا منَ الْحَرَم ليَقْتُلُوهُ فى الْحلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ : ذَرُونى أرْكَعْ رَكْعَتَيْن . فَتَرَكُوهُ ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْن ثُمَّ قَالَ : لَوْلاَ أنْ تَظُنُّوا أنَّ مَا بى جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا اللَّهُمَّ أحْصهمْ عَدَداً .

وَلَسْتُ أُبَالى حينَ أُقْتَلُ مُسْلماً  عَلَى أىِّ شقٍّ كَانَ للَّه مَصْرَعى

وَذَلكَ فى ذَات الإلَه وَإنْ يَشَأْ  يُبَاركْ عَلَى أوْصَال شلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارث ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْن لكُلِّ امْرئ مُسْلم قُتلَ صَبْراً ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لعَاصم بْن ثَابت يَوْمَ أُصيبَ ، فَأَخْبَرَ النَّبىُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصيبُوا ، وَبَعَثَ نَاسٌ منْ كُفَّار قُرَيْش إلَى عَاصم حينَ حُدِّثُوا أنَّهُ قُتلَ ليُؤْتَوْا بشَىْء منْهُ يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلاً منْ عُظَمَائهمْ

**يَوْمَ بَدْرٍ ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ ، فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا .**

**وتوضيح القصة :** في أواخر سنة ثلاث من الهجرة ، وبعد غزوة أحد ، بعث رسول الله ﷺ ثمانية أو عشرة من أصحابه نحو قريش ، يتحسسون أخبارهم ، ويأتون بها ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى.

انطلقوا حتى وصلوا إلى مكان يسمى الهدأة ، على بعد بضعة عشر ميلا من مكة ، ويسمى بالرجيع ، وأصل معناه الروث ، نزلوا فى السحر ، فأكلوا تمر عجوة قدموا به من المدينة ، فسقطت نواة بالأرض ، وكانوا يسيرون الليل ، ويختبئون النهار ، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنمًا ، فرأت النواة ، ورأت صغرها عن نوى تمر بلادهم ، فقالت : هذا تمر يثرب ، وقد مر بهذا المكان الليلة جماعة من يثرب ؛ فصاحت فى قومها : الغوث الغوث ، واليقظة اليقظة ، لقد أتيتم وجاءكم الأعداء ، فنفر نحو مائتى رجل كلهم يجيد الرمى ، ويتتبع الآثار ، ووصلوا إليهم كامنين مستخفين فى ربوة فى أعلى الجبل ، فأحاطوا بهم ، وقالوا لهم : انزلوا ولكم العهد والميثاق والأمان ، ولا نقتل منكم أحدًا ، فلم ينزلوا ، فرموهم بالنبال ، فقتلوا منهم سبعة مع رئيسهم ، ونزل على العهد ثلاثة – خبيب وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، فلما تمكنوا منهم أخذوا يربطونهم ويكتفونهم ويوثقونهم ، فانتزع عبد الله بن طارق يده وأخذ سيفه فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة أسيرين ، فباعوهما بمكة ، أما ابن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية ، فقتله بأبيه الذى قتل ببدر ، وأما خبيب فاشتراه بنو الحارث بن عامر على أساس أنه قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، اشتروه وحبسوه فى بيت بنت الحارث حتى يتفقوا على ميعاد قتله بعد أن

تنقضى الأشهر الحرم . وتحكى أنه استعار منها موسى يحلق به عانته قبل قتله ، وغفلت عن ابن لها صغير أقبل على خبيب فأجلسه على فخذه ، وفى يده الموسى ، فانزعجت ، فقال لها : لقد أمكن الله منكم ، وما كنت لأغدر ، وألقى إليها الموسى ، وبعث إليها الطفل .

وتحكى أنها رأت خبيبًا وفى يده قطف من العنب يأكل منه فى غير وقت العنب ، وما له أثر فى مكة ، وتعزو ذلك للكرامة التى أكرم الله بها خبيبًا ، كما أكرم مريم ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾** ﴾ (١) .

ولما انتهت الأشهر الحرم خرجوا به إلى التنعيم ، إلى أدنى الحل ، فطلب من حراسه أن يأذنوا له بالصلاة ، قبل أن يقتلوه ، فأذنوا له ، فتوضأ وصلى ركعتين خفيفتين ، ثم دعا عليهم : اللهم أحصهم عددًا ، واقتلهم بددًا ، ولا تبق منهم أحدًا ، فلم يحل الحول ومنهم أحد حى . ثم أنشأ يقول :

**وَلَسْتُ أُبَالِى حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً — عَلَى أَىِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِى**

**وَذَلِكَ فِى ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ — يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ**

أى إن يشأ الله أن يبارك جسدًا مقطع الأعضاء باركه .

فلما صوبوا إليه السلاح وهو مصلوب ناشدوه ونادوه : يا صهيب . أتحب أن محمدًا مكانك ؟ قال : لا . والله العظيم . ما أحب أن يفدينى

---

(١) سورة آل عمران – الآية : ٣٧ .

٧٦٤ ساقطة

والحضر – أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ – فقال رسول الله ﷺ : اللهم اكفنى عامرًا . ونزل عامر فى المدينة على امرأة من سلول – فطُعِنَ عامرٌ فِى بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ – فظهرت فى رقبته غدة وورم كغدة البعير – فقَالَ : غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَكْرِ فِى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ ائْتُونِى بِفَرَسِى . فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ ، فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ هُوَ وَرَجُلٌ أَعْرَجُ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِى فُلَانٍ قَالَ : كُونَا قَرِيباً حَتَّى آتِيَهُمْ ، فَإِنْ آمَنُونِى كُنْتُمْ ، وَإِنْ قَتَلُونِى أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ . فَقَالَ : أَتُؤْمِنُونِى أُبَلِّغْ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ وَأَوْمَئُوا إِلَى رَجُلٍ ، فَأَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ – قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ حَتَّى أَنْفَذَهُ – بِالرُّمْحِ ، قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ. فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَلُحِقَ الرَّجُلُ . فَقُتِلُوا كُلُّهُمْ غَيْرَ الأَعْرَجِ كَانَ فِى رَأْسِ جَبَلٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمَنْسُوخِ إِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِىَ عَنَّا وَأَرْضَانَا . فَدَعَا النَّبِىُّ ﷺ عَلَيْهِمْ ثَلَاثِينَ صَبَاحاً ، عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِى لَحْيَانَ وَعُصَيَّةَ ، الَّذِينَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ .

٤٠٩٠ – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رِعْلاً وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِى لَحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَدُوٍّ ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَّاءَ فِى زَمَانِهِمْ ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ ، وَغَدَرُوا بِهِمْ ، فَبَلَغَ النَّبِىَّ ﷺ ، فَقَنَتَ شَهْراً يَدْعُو فِى الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِى لَحْيَانَ . قَالَ أَنَسٌ : فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآناً ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا ، أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرَضِىَ عَنَّا وَأَرْضَانَا . وَعَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ نَبِىَّ اللَّهِ ﷺ قَنَتَ شَهْراً فِى صَلَاةِ الصُّبْحِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِى لَحْيَانَ .

وتوضيح **قصة عامر بن الطفيل :**

أن رئيس غطفان بأحيائها وبطونها وقبائلها عامر بن الطفيل جاء إلى النبى ﷺ ، وقال : أخيرك بين ثلاث خصال : أن يكون لك أهل الحضر ولى أهل البوادى ، أو أكون رسولا لأهل الحضر وتكون رسولا لأهل البوادى ، وأن أكون خليفتك من بعدك .أو أغزوك بأهل غطفان بألف فارس على ألف فرس . فقال صلى الله عليه وسلم : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .

فانصرف عامر ، فدعا عليه رسول الله ﷺ ، وقال : اللهم اكفنى عامرًا .

رجع عامر إلى بلاده وهو يدبر خطة للنيل من محمد ﷺ ومن أصحابه ، فاختار وفدًا من قبائل رعل وذكوان وعصية وعلى رأسهم أبو براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة ، وأوعز إليهم أن يظهروا الإسلام ، وأين يطلبوا مددًا من المسلمين يساعدوهم على إسلام قومهم . قال أبو براء : يا محمد . لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا وأنا جار لهم . فعرض رسول الله ﷺ عليه الإسلام فلم يسلم ، ولم يبعد ، ولم يرفض . فبعث النبى ﷺ معهم سبعين رجلا من الأنصار . من المعروفين بالقراء ، كانوا يحتطبون بالنهار ، ويصلون بالليل ، ويبيعون الحطب ، ويشترون بثمنه طعامًا لأهل الصفة ، على رأسهم حرام بن ملحان ، خال أنس بن مالك ، ساروا حتى وصلوا إلى بئر يسمى بئر معونة ، وكان عامر بن الطفيل قد أعد العدة للغدر بهم ، قال حرام لأصحابه : سأدخل على القوم أبلغهم رسالة رسول الله ﷺ ، وأشرح لهم الإسلام ، وليقرب منى فلان وفلان . وليراقبا ما يجرى بينى وبينهم ،

فإن قتلونى أتياكم فاتخذتم طريق النجاة ، فدخل على القوم الذين أعدهم عامر ، فجعل يحدثهم ، فأشاروا إلى رجل فى كمين ، فخرج من البيت برمح ، فضربه فى جنبه ، حتى خرج من الشق الآخر ، قال حرام : فزت بالشهادة ورب الكعبة ، ولحق الرجل القاتل بالمشركين من قومه ، فأحاطوا بالقراء فقتلوهم أجمعين ، غير رجل كان أعرج ، وكان قد صعد رأس الجبل ، ثم هرب . فأتى الوحى النبى ﷺ بخبرهم ، فنعاهم النبى ﷺ لأصحابه فى يوم قتلهم ، وقال : إنهم قد سألوا ربهم ، فقالوا : ربنا . أخبر عنا إخواننا أنك رضيت عنا ورضينا عنك . وأخذ رسول الله ﷺ يقنت فى صلاته ويدعو على رعل وذكوان وعصية ، حتى نزل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾[1] يحكى هذه القصة الأحاديث :

٤٠٩٤ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَنَتَ النَّبِىُّ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْراً يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَيَقُولُ : « عُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » .

٤٠٩٥ - وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : دَعَا النَّبِىُّ ﷺ عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا - يَعْنِى - أَصْحَابَهُ بِبِئْرِ مَعُونَةَ ثَلاَثِينَ صَبَاحاً حِينَ يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَلَحْيَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ. قَالَ أَنَسٌ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ فِى الَّذِينَ قُتِلُوا أَصْحَابِ بِئْرِ مَعُونَةَ قُرْآناً قَرَأْنَاهُ حَتَّى نُسِخَ بَعْدُ بَلِّغُوا قَوْمَنَا فَقَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِىَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ .

٤٠٩٦ - عن عَاصِمٍ الأَحْوَلِ قَالَ : سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ عَنِ الْقُنُوتِ فِى الصَّلاَةِ فَقَالَ : نَعَمْ . فَقُلْتُ : كَانَ قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ :

---

(١) سورة آل عمران - الآية : ١٢٨ .

قَبْلَهُ . قُلْتُ : فَإِنَّ فُلاناً أَخْبَرَنِى عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَهُ ، قَالَ : كَذَبَ إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْراً ، أَنَّهُ كَانَ بَعَثَ نَاساً يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ ، وَهُمْ سبْعُون رَجُلاً إِلَى نَاسٍ مِن الْمُشْرِكِينَ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ قِبَلَهُمْ ، فَظَهَرَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ ، فَقَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْراً يَدْعُو عَلَيْهِمْ .

ومجموع ما جاء عن أنس ﷺ فى القنوت أنه للحاجة ، وبعد الركوع، وأما لغير الحاجة والنازلة فالصحيح عنه أنه قبل الركوع .

وفى استحباب القنوت خلاف ، وفى تحديد الصلاة التى يقنت فيها خلاف ، وفى كونه قبل الركوع أو بعده خلاف ، لكنهم أجْمعوا على نسخه فى صلاة المغرب ، وقد اختلف عمل الصحابة فى ذلك ، والظاهر أنه من الاختلاف المباح .

والقنوت فى غير النازلة مستحب فى جميع الأزمان فى صلاة الصبح عند مالك والشافعى ، والمشهور عند الشافعية استحبابه فى الوتر فى النصف الثانى من رمضان ، وروى عن مالك أن القنوت فى الوتر بدعة ، وقال أبو حنيفة وأحمد : لا يسن القنوت فى الصبح ولا غيرها من الصلوات ، سوى الوتر فى جميع السنة .

واستجاب الله دعاء نبيه ﷺ فى عامر بن الطفيل ، إذ جاء إلى بيت امرأة من بنى سلول بالمدينة ، فأصيب بغدة كغدة البعير ، كطاعون الإبل، فقال : أموت كموت البعير ؟ إيتونى بفرسى ، فمات كافرًا على ظهر فرسه .

وما فعله المشركون فى الرسول ﷺ وفى أصحابه – غير الحروب – كثير ، فقد آذوه صلى الله عليه وسلم ، وآذوا أصحابه ، يروى البزار عن

أنس ﷺ قال : لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشى عليه ، فقام أبو بكر ، فجعل ينادى : ويلكم . أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ؟ فتركوه ، وأقبلوا على أبى بكر .

وعن أسماء – رضى الله عنها – أنهم قالوا لها : ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ ؟ قالت : أتى الصريخ إلى أبى بكر ، فقال : أدرك صاحبك . قالت : فخرج من عندنا وله غدائر أربع ، وهو يقول : ويلككم . أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ؟ فلهوا عنه ، وأقبلوا على أبى بكر ، فرجع إلينا أبو بكر ، فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا رجع معه .

وفى خطبة لعلى بن أبى طالب ﷺ قال : من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت . قال : أما أنى ما بارزنى أحد إلا أنصفت منه ، ولكنه أبو بكر ، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه ، وهذا يتلقاه ، ويقولون له : أنت تجعل الآلهة إلهًا واحدًا ؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر ، يضرب هذا ، ويدفع هذا ، ويقول : ويلكم : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ؟ ثم بكى على ، ثم قال : أنشدكم الله . أمؤمن آل فرعون أفضل ؟ أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال على : والله لساعة من أبى بكر لخير منه ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا يعلن إيمانه .

كان الأذى بمكة محتملا ؛ لأن المسلمين كانوا قلة فقراء ، فكانوا مغلوبين على أمرهم، صابرين على ما يصيبهم، ولما اشتد بهم الأذى بمكة، ورأوا أنهم قد لا يحتملون نصحهم رسول الله ﷺ بالصبر ، يحدثنا بذلك الحديث :

**٣٨٥٢ – عن خَبَّابٍ ﷺ قال : أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً ،**

وَهْوَ فِى ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً ، فَقُلْتُ : أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ ؟ فَقَعَدَ وَهْوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ ، فَقَالَ : « لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ » . وفى رواية : وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ .

ووصل الأذى بمكة أن تآمروا على قتل رسول الله ﷺ ، ولما خرج جعلوا مائة ناقة لمن يأتى به حيًا أو ميتًا ، وتابعوا إيذاء من يهاجر من أصحابه . كما حاربوه فى المدينة ، وحاربوا الأنصار الذين آووه ، ولم يكتفوا بالحروب ، بل أرسلوا إليه من يغتاله ، كما يحدثنا الحديث :

٤١٣٥ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قال : إِنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِى وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِى الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ، قَالَ جَابِرٌ : فَنِمْنَا نَوْمَةً ، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا ، فَجِئْنَاهُ ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِىٌّ جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِى ، وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ ، وَهْوَ فِى يَدِهِ صَلْتاً ، فَقَالَ لِى : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى؟ قُلْتُ : اللَّهُ. فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ». ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

لم يعاقبه ، ولم يؤاخذه ، بل عفا عنه ، زاد الواقدى : أنه أسلم ، وأنه رجع إلى قومه ، فاهتدى به خلق كثير .

ولم يمنع رسول الله ﷺ الهبة والهدية للمشركين والإحسان إليهم عملا بقوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم

﴿مِن دِيَـٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[1].

وفى سنة الهدنة بين المسلمين والمشركين بناء على صلح الحديبية جاءت أم أسماء بنت أبى بكر ، واسمها "قُتيلة بنت عبد العزى" وكان أبو بكر قد طلقها فى الجاهلية ، جاءت إلى بنتها أسماء بالمدينة بهدايا زبيب وسمن وقرظ ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها ، وأرسلت إلى أختها عائشة لتسأل رسول الله ﷺ ، يحكى ذلك الحديث :

**٢٦٢٠ – عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ – رضى الله عنهما – قَالَتْ : قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّى وَهْىَ مُشْرِكَةٌ ، فِى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ { إِنَّ أُمِّى قَدِمَتْ } وَهْىَ رَاغِبَةٌ ، أَفَأَصِلُ أُمِّى قَالَ : « نَعَمْ صِلِى أُمَّكِ » ؟ .**

لكن بعض المسلمين والمسلمات كان يبالغ فى إهانة المشركين وتحقيرهم من قبيل الورع والتقرب إلى الله ورسوله ﷺ .

فقد خرج أبو سفيان من مكة زمن الهدنة حتى قدم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة – رضى الله عنها – زوج الرسول ﷺ ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية . ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش ؟ أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش النبى ﷺ وأنت رجل مشرك ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ قال : يا بنية . لقد أصابك بعدى شرٌّ .

وهذا زعيم من زعماء الشرك اسمه ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة – واليمامة جهة نجد ، بين مكة واليمن – ساقته المقادير إلى أن يقع أسيرًا

(١) سورة الممتحنة – الآية : ٨ .

لخيل محمد ﷺ :

وكان صلى الله عليه وسلم يرسل خيلا وفرسانًا قبل نجد ، يجوبون الصحراء ، يؤمنون المدينة والمسلمين ، ويأتون بأخبار المتآمرين ، ويحذرون ويخيفون من تسول له نفسه محاربتهم ، فقبضت على سيد بنى حنيفة ، القبيلة الكافرة المعينة للمشركين فى قتالهم للمسلمين ، جاءوا به إلى المدينة ليلا ، فربطوه فى سارية من سوارى المسجد النبوى ، فخرج رسول الله ﷺ ، وكان يعرفه ، فقال : ماذا عندك يا ثمامة من الأفكار والأخبار ؟ وما تظن أنى فاعل بك ؟ فقال : عندى – يا محمد – خير ، وما أظن إلا خيرًا ، فقد علمت العرب أنك تعفو وتغفر وتحسن ، إن تقتلنى تقتل رجلا لك عنده ثأر ودم ، وإن تنعم على بالعفو والانطلاق تنعم على شاكر لا ينسى الجميل ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد ، فأعاد عليه السؤال ، وأعاد عليه ثمامة نفس الجواب ، وفى اليوم الثالث أعاد عليه السؤال ، وأعاد نفس الجواب ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أطلقوا ثمامة ، فحلوا وثاقه ، وأطلقوه ، يذهب حيث يشاء .

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم رجع إلى المسجد ، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ثم قال : يا محمد . والله ما كان على الأرض وجه ابغض إلى من وجهك ، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىَّ ، والله ما كان من دين أبغض إلىَّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين إلىَّ ، والله ما كان من بلد أبغض إلىَّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلىَّ ، وإن خيلك أخذتنى ، وأنا أريد العمرة . فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ بخيرى الدنيا والآخرة ، وأمره أن يعتمر ، فخرج

معتمرًا ، حتى إذا كان ببطن مكة لبى جهرًا ، فكان أول من يـدخل مكـة يلبى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اجترأت علينا ، وأرادوا قتله ، فقال قائل منهم : لا تقتلوه ، فإنكم تحتاجون إلى الطعام من اليمامـة . قـالوا لـه : صبوت وخرجت من دينك ؟ قال : لا . ولكنى أسلمت مع محمد ﷺ ، والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى ﷺ .

ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا ، فكتبـوا إلـى النبى ﷺ : إنك تأمر بصلة الرحم ، فكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبـين الحمل إليهم .

وهكذا كانت معاملة ثمامة باللين والإحسان سببًا فى إسلامه وإسـلام الكثيرين من قومه .

ويحكى لنا غزوة ذى قرد الحديث :

**٤١٩٤ – عن سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ ﷺ قَالَ : خَرَجْتُ قَبْـلَ أَنْ يُـؤَذَّنَ بِالأُولَى** – أى قبل أن يؤذن بالفجر – **وَكَانَتْ لِقَاحُ** – اللقاح النوق ذات اللبن – **رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرْعَى بِذِى قَرَدٍ – قَالَ – فَلَقِيَنِى غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْـنِ عَوْفٍ ، فَقَالَ : أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قُلْتُ : مَنْ أَخَـذَهَا ؟ قَـالَ : غَطَفَانُ . قَالَ : فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ – يَا صَبَاحَاهْ – قَالَ : فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَىِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِى حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ ، وَقَـدْ أَخَـذُوا يَسْتَقُونَ مِنَ الْمَاءِ ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِى ، وَكُنْتُ رَامِياً ، وَأَقُولُ : أَنَا ابْنُ الأَكْوَعْ ، الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ** أى واليوم يوم هلاك اللئام – **وَأَرْتَجِـزُ حَتَّـى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً ، قَالَ : وَجَاءَ النَّبِىُّ ﷺ وَالنَّاسُ ، فَقُلْتُ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ ، قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَـاشٌ** – أى منعتهم من الشرب – **فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ . فَقَالَ : « يَا ابْـنَ الأَكْـوَعِ ،**

**مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ »** – أى فسهل ، أى قدرت فاعف – **قَالَ : ثُمَّ رَجَعْنَا ، وَيُرْدِفُنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ .**

لكن رواية مسلم كانت أوضح وأطول وأكثر تفسيرًا نعتمد عليها فى عرض القصة فنقول :

"ذى قرد" اسم لماء قريب من أرض غطفان على بعد عشرين ميلا من المدينة ، وكانت مرعى خصبًا ترعى فيه لقاح النبى ﷺ أى النوق ذات اللبن ، وكانت عشرين ناقة ، يرعاها ابن أبى ذر وامرأته ، وكان يحكم غطفان عيينة بن حصن الفزارى ، وكان سلمة بن الأكوع يخدم طلحة ويذهب بفرسه إلى نفس المراعى ، فخرج فى فجر يوم ومعه رباح خادم رسول الله ﷺ ، ثم اشتغل بالصيد ، فجاءه رباح ، وقال له : اخذت نوق النبى ﷺ كلها . قال : من أخذها ؟ قال : عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزارى ، ومن معه من أهل غطفان ، قتلوا الراعى ، وأسروا زوجه ، واستاقوا الإبل .

قال سلمة : فقلت لرباح : خذ هذا الفرس ، وأبلغه طلحة ، وأبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، وأن المشركين قد أغاروا على لقاحه ، قال : ثم قمت على أكمة على الجبل ، فاستقبلت المدينة ، فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه . يا صباحاه . يا صباحاه . فأسمعت ما بين لابتى المدينة وجبليها وانتهى صياحى إلى النبى ﷺ ، فنودى فى الناس : الفزع . الفزع .

قال : ثم اندفعت نحوهم ، لا ألتفت يمينًا ولا شمالا – وكنت سريع الجرى ، حتى أدركتهم يستقون من الماء . فأخذت أرميهم بالنبل ، وأقول :

**أنا ابن الأكوع          واليوم يوم الرضع**

مثل يضرب لمجازاة اللئام، وأصله أن اللئام كانوا يرضعون من

الثدى بفمهم، لا يحلبون، لئلا يضيع بعض اللبن فى الحلب وعلى جدران الإناء .

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقرهم ، فاتجه نحوى فارس منهم ، فاستترت بشجرة ، ورميته ، فعقرته . حتى إذا تضايق الجبل ، ودخلوا فى تضايقه علوت الجبل ، فجعلت أرديهم بالحجارة .

قال : فما زلت كذلك أتبعهم ، كلما تعب بعير تركوه ، حتى لم يبق معهم من لقاح رسول الله ﷺ ناقة ، خلفوا السرح عليهم ، وخلوا بينى وبينه ، ثم اتبعتهم أرميهم ، حتى ألقوا بأكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحًا ، حتى أتوا مضيقًا فى انعطاف الجبل جاءهم أحد أبناء الفزارى بطعام ، فجلسوا يتغدون ، وجلست على قرن الجبل ، قال لهم الفزارى : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا الرجل القرح والضيق والحرج ، والله ما فارقنا منذ غلس يومنا ، يرمينا ، حتى انتزع كل شيء فى أيدينا . قال : فليقم منكم أربعة يصعدون الجبل إليه ، فصعد أربعة ، فلما قربوا منى يسمعون صوتى وأسمعهم قلت لهم : والذى أكرم وجه محمد ﷺ . لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته ، ولا يطلبنى رجل منكم فيدركنى . قال أحدهم : أظن هذا صحيحًا ، ورجعوا ، وإذا فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر ، وإذا أولهم الأخرم الأسدى ، فأخذت بعنانه ، فولوا مدبرين ، وتبعتهم أعدو على رجلى ، فعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء ، يقال له : ذو قرد ؛ ليشربوا منه ، وهم عطاش ، فنظروا إلىَّ أعدوا وراءهم ، فأجليتهم عن الماء ، فما ذاقوا منه قطرة ، وتركوا فرسين ، فجئت بهما الرسول ﷺ أسوقهما ، وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع كل الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين ، وكل رمح ، وكل بردة . قلت : يا رسول الله . انتخب لى

مائة من رجالك ، نتبع القوم فلا نبقى منهم أحد ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : يا سلمة . إذا ملكت فأسجح - أى فاعف - هم الآن فى أرض غطفان فى أمان أهليهم يأكلون وينعمون .

ثم أعطانى رسول الله ﷺ سهمين : سهم الفارس ، وسهم الراجل ، ثم أردفنى وراءه على ناقته العضباء ، راجعين إلى المدينة .

وكان مع رسول الله ﷺ رجل من الأنصار لا يُسبق جريًا ، فجعل يقول : هل من مسابق يسابقنى إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ قلت : أما تكرم فى هذا الجمع كريمًا ، ولا تهاب فيه شريفًا؟ قال : لا. إلا الرسول ﷺ قلت : يا رسول الله . بأبى أنت وأمى . ذرنى أسابق هذا الرجل . قال : إن شئت . قال : فنزلت وثنيت رجلى ، وجلست أستبقى نفسى وأستريح ، وقلت له : اسبق أنت مرحلة أو مرحلتين ، فجرى ، ثم عدوت حتى لحقته، ثم سبقته إلى المدينة .

وهكذا اكتفى رسول الله ﷺ باسترداد سرحه ، ولم يقاتل غطفان ، يلبس لكل حال لبوسها . لكن المشركين كثيرًا ما ينكثون عهدهم ، وينقضون ميثاقهم ، ويبدءون المسلمين بغدرهم .

يروى الإمام مسلم بعد أن وقعوا مع رسول الله ﷺ صلح الحديبية هبط من جبل التنعيم على رسول الله ﷺ ثمانون شابًا من المشركين مسلحين يريدون الغدر به واغتياله ، وأخذه على غرة ، فأمسك بهم بعض الصحابة، وجردوهم من أسلحتهم ، فعفا رسول اله ﷺ عنهم وأطلقهم ، نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الفتح - الآية : ٢٤ .

## مسيلمة الكذاب

وكما حاول عامر بن الطفيل رئيس غطفان أن يشارك فى النبوة وطلب قسمة أهل الأرض بينه وبين محمد ﷺ ادعى مسيلمة الكذاب النبوة ، وطلب من محمد ﷺ أن يجعله خليفته ، يحدثنا عن ذلك الأحاديث :

٤٣٧٨ – عَنِ ابْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ نشيط – وكَانَ فى مَوْضِعٍ آخَرَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ – أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ : بَلَغَنَا أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلَ فِى دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، وكَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ الْحَارِثِ ابْنِ كُرَيْزٍ ، وَهِىَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ ابْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَهُوَ الَّذِى يُقَالُ لَهُ خَطِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَضِيبٌ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ : إِنْ شِئْتَ خَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الأَمْرِ ، ثُمَّ جَعَلْتَهُ لَنَا بَعْدَكَ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « لَوْ سَأَلْتَنِى هَذَا الْقَضِيبَ مَا أَعْطَيْتُكَهُ ، وَإِنِّى لأَرَاكَ الَّذِى أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ ، وَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ وَسَيُجِيبُكَ عَنِّى » . فَانْصَرَفَ النَّبِىُّ ﷺ .

٤٣٧٣ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ : قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ : إِنْ جَعَلَ لِى مُحَمَّدٌ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ . وَقَدِمَهَا فِى بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَفِى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « لَوْ سَأَلْتَنِى هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ ، وَإِنِّى لأَرَاكَ الَّذِى أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّى » . ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ .

٤٣٧٤ – وعنه – رضى الله عنهما – قال: سَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ

**رَسُولِ اللَّه ﷺ : « إنَّكَ أُرَى الَّذِى أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ » . فَأَخْبَرَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِى يَدَىَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهبٍ . فأهمَنى شأنُهما . فأوحى إلَىَّ فِى الْمَنَامِ أنِ انْفُخْهُمَا ، فَنَفَخْتُهُمَا فطارا فأوَّلْتُهما كذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِى، أَحَدُهُمَا الْعَنْسِىُّ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ».**

**٣٦٢٠ - وعنه - رضى الله عنهما - قَالَ : قَدمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ على عَهْدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ فجعل يَقُولُ إنْ جَعَلَ لِى مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ . وَقَدِمَهَا فِى بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَفِى يَدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « لَوْ سَأَلْتَنِى هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّه فِيكَ ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ ، وَإِنِّى لأَرَاكَ الَّذِى أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ » .**

مسيلمة الكذاب كان سيد بنى حنيفة ، وادعى أنه أشرك فى النبوة مع رسول الله ﷺ ، فعرض عليه قسمة أهل الأرض ، أو أن يجعل رسول الله ﷺ الخلافة فى الرسالة من بعده لمسيلمة ، فإن فعل محمد ذلك تبعه ، وجاءه رسول الله ﷺ فى الدار التى نزل فيها ، واصطحب معه ثابت ابن قيس خطيب الأنصار ليجادله إن طال بهم الجدال .

لقد ارتد بنو حنيفة وتبعوا مسيلمة ، وارتد كثير من بنى تميم وتبعوا سجاحًا التى ادعت النبوة ، فخادعها مسيلمة إلى أن تزوجها ، فاجتمع قومها بنو تميم وقوم مسيلمة بنو حنيفة على طاعة مسيلمة .

لم يعظم أمر مسيلمة إلا بعد وفاة الرسول ﷺ وبعد أن تزوج سجاح التى ادعت النبوة هى الأخرى ، وانضم أتباعها إلى مسيلمة .

لذا لم يكترث الرسول ﷺ بمسيلمة الكذاب ، واستهان به وبادعائه

استهانة الإنسان بقطعة من جريد . وقد طمأنه ربه بالرؤيا التى رآها ، وأن مآل مسيلمة نفخة يذهب بها هباء ، وكان مصيره القتل فى حروب الردة .

## الأسود العنسى

وادعى النبوة باليمن الأسود العنسى ، وتبعه خلق كثير ، وكان يقال له ذو الخمار ؛ لأنه كان يغطى وجهه حين يشعوذ ، وكان عامل النبى ﷺ فى صنعاء باذان ، فمات ، وحل محله المهاجر بن أبى أمية ، فخرج الأسود العنسى فى قومه ، وهاجموا المهاجر بن أمية فغلبوه ، واستولى الأسود على صنعاء ، وتزوج المرزبانة زوجة باذان ، فتآمرت عليه ، وتواعدت مع دادويه وفيروز وغيرهما ، حتى دخلوا على الأسود ليلا ، وقد سقته المرزبانة الخمر صرفًا حتى سكر ، وكان على بابه ألف حارس، فنقب فيروز ومن معه الجدار ، ودخلوا عليه فقتلوه ، واحتز فيروز رأسه وأخرجوا المرزبانة ، وطيروا الخبر إلى المدينة قبل وفاته النبى ﷺ بيوم وليلة .

نعم انتشر الإسلام فى الجزيرة وعمها فى مدة قصيرة ، فى أقل من عشر سنين ، وأسلم المؤمن إيمانًا صادقًا قويًا ، كما أسلم من يعبد الله على حرف ، فانضوى تحت لوائه الغث والسمين ، فكانت الزلزلة ، واهتزت قواعد المسلمين فى أطراف بلادهم ، وكان رسول الله ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى ، ولم يتعامل مع هذه الهزات ، لا بالقوة المسلحة ولا بالرفق والسلم فكانت من تركة ونصيب أبى بكر ﷺ ، وكانت حروب الردة .

**وفى فتح مكة كانت الصورة المشرفة لعفو الإسلام** عمن أساء إلى المسلمين :

**أبو سفيان** زعيم مكة ، ورأس الشرك وقائد قريش في حرب محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، يقف فى منحنى جبل ، فيرى جيوش رسول الله ﷺ تزيد على عشرة آلاف ، ويرى أنه لا قبل لأهل مكة بهذا الجيش الكبير ، من يرغب منهم فى الإسلام ومن لا يرغب ، ويرى الحكمة أن يسلموا ولا يقاتلوا ، ولما مرت عليه كتيبة الأنصار ، يرفع سعد ابن عبادة رايتها قال له سعد : يا أبا سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فشكا أبو سفيان سعدًا إلى رسول الله ﷺ فقال له صلى الله عليه وسلم : كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة ، وأمر بالراية ، فأخذت من سعد ، وأعطيت لابنه قيس . وقد أعطاه رسول الله ﷺ مفخرة يفتخر بها على مر الدهر . من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن . ونادى بذلك أبو سفيان على مسامع أهل مكة .

وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام بعد أن أجاره العباس ، قال له رسول الله ﷺ : ويحك يا أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ فقال : أما هذه ففى النفس منها شىء . فقال عمر : يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه . قال العباس : قد أجرته يا عمر . ثم قال العباس لأبى سفيان : ويحك اسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، فأسلم ونطق بالشهادتين ، ولكنه اعتبر من المؤلفة قلوبهم .

**أم هانىء** بنت أبى طالب تجير اثنين من أحمائها – الحارث بن هشام ، وزهير بن أبى أمية ، فأراد على ﷺ أن يقتلهما فمنعته وشكته إلى رسول الله ﷺ ، فقال : قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء .

**الرسول ﷺ يأخذ مفتاح الكعبة من بنى شيبة ، ثم يعيده إليهم .**

بعد فتح مكة دعا الرسول ﷺ عثمان بن طلحة بن أبى طلحة حاجب الكعبة ، فأخذ منه المفتاح . ففتحت له الكعبة فدخلها وصلى فيها ركعتين ، وحطم ما كان بداخلها من أصنام، ثم خرج، فقال له على بن أبى طالب ﷺ اجمع لنا الحجابة مع السقاية يا رسول الله . فقال : أين عثمان بن طلحة ؟ فجاء ، فقال له : خذ مفتاحك ، اليوم يوم بر ووفاء . خذوا الحجابة يا بنى شيبة خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، وما زال المفتاح بيد الشيبيين حتى اليوم .

**والد أبى بكر الصديق** يسلم بعد الفتح . وجاء أبو بكر بأبيه يقوده ، وقد كف بصره ، فأجلسه بين يدى الرسول ﷺ فأسلم .

الرسول ﷺ يهدر دم أناس أجرموا بما يستحقون به القتل ، فمن أسلم منهم فقد أنقذ نفسه ، نذكر منهم :

**عبد الله بن خطل**، وكان قد أسلم ، فقتل رجلا من الأنصار ، ثم ارتد مشركًا ، واتخذ جاريتين تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأهدر دمه وقتل .

**عبد الله بن أبى سرح** : وكان ممن يكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فارتد ونسب إلى رسول الله ﷺ أنه كان يؤلف الوحى ، فأهدر دمه ، فعاد إلى الإسلام ، وأخذ له عثمان بن عفان – أخوه من الرضاعة – من رسول الله ﷺ الأمان ، وحسن إسلامه .

**عكرمة بن أبى جهل** ، وكان قد أزمع الهروب إلى اليمن ، فأخذت له امرأة مسلمة الأمان من رسول الله ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان من أبطال الفتوحات الإسلامية .

ووحش قاتل حمزة غدرًا ، عفى عنه ، وكل ما طلب منه أن لا يُرَى وجهَه لرسول الله ﷺ .

وأهل مكة جميعًا لم يؤسروا كما أسر غيرهم ، ولم يقتلوا كما قتل غيرهم ، ولم يحاسبوا على جرائمهم التى أجرموا بها مع المسلمين ، بل عفى عنها وأطلقوا ، وسموا الطلقاء ، من أسم منهم ، ومن بقى على شركه .

وهكذا وجدنا معاملة الرسول ﷺ للمشركين تأخذ طابع العفو والتسامح وتأليف القلوب ، ولم تأخذ طابع العنف والقسوة والعقاب .

أما الحروب فقد كان المشركون هم الذين يهاجمون المسلمين ، وكان المسلمون يدافعون عن أنفسهم ، ولم يهاجموا إلا حيث توقف الدفاع على الهجوم ، كما سيتبين ذلك عند الكلام عن الجهاد والغزوات .

**المهمة الرابعة : الرسول ﷺ والمؤلفة قلوبهم** كان المؤلفة قلوبهم ثلاثة أصناف : صنف كان الرسول ﷺ يؤلفهم ليسلموا ، وصنف كانوا يعطون لدفع شرهم عن المؤمنين ، والصنف الثالث – وهو المشهور بهذا الوصف – قوم أسلموا على ضعف ، أعطاهم الرسول ﷺ من غنيمة حنين ، وكانوا خمسة عشر رجلا ، أشراف أحياء : أبو سفيان ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وحويطب بن عبد العزى ، وسهل بن عمرو من بنى عامر ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو الجهنى ، وأبو السنابل ، وحكيم بن حزام ، ومالك بن عوف ، وصفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن يربوع ، والجد بن قيس ، وعمرو بن مرداس ، والعلاء ابن الحارث . أعطى رسول الله ﷺ كل واحد منهم مائة من الإبل ، ورغبهم فى الإسلام إلا عبد الرحمن بن يربوع ، أعطاه خمسين من

الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام سبعين من الإبل ، فاستعطف ، فأكمل له الرسول ﷺ المائة .

**عمر والمؤلفة قلوبهم**

وروى أن عيينة والأقرع جاءا يطلبان أرضًا من أبى بكر ، فكتب بذلك خطا ، فلما وصلوا إلى عمر مزقه ، وقال : هذا شيء أعطاكموه رسول الله ﷺ تأليفًا لكم ، فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم إلى الإسلام ، وإلا فبيننا وبينكم السيف ، فرجعوا إلى أبى بكر ، فقالوا: أنت الخليفة أم عمر ؟ بذلت لنا الخط ، ومزقه عمر ، فقال رضى الله عنه: القول ما قال عمر ، ووافقه ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، فصار إجماعًا .

كانت **المهمة الخامسة اختيار الولاة** ، ومراقبتهم ، وعزل من لا يصلح منهم ، وكان لا يولى على الولايات من يحرص عليها ، ولا من يطلبها . جاءه رجلان من الأشعريين يطلبان منه صلى الله عليه وسلم أن يولى كل واحد منهما ولاية فنصحهما بهذا الحديث :

**٢٢٦١ – عَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ وَمَعِى رَجُلاَنِ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ ، فَقُلْتُ : مَا عَلِمْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ ؟ فَقَالَ : « لَنْ أَوْ لاَ نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ » .**

وسأله عبد الرحمن بن سمرة ﷺ أن يوليه ولاية ، فقال له هذا الحديث :

**٧١٤٧ – عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ ، فَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ**

**عَلَيْهَا ، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَأْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ »** .

وعند مسلم عن أبى ذر ﷺ قال : يا رسول الله . ألا تستعملنى ؟ وتعينى عاملا لك على بعض الولايات ؟ قال : « إنك ضعيف ، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » .

فمن دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل فإنه يندم على ما فرط منه ، إذا جوزى بالخزى يوم القيامة ، أما من كان أهلا وعدل فأجره عظيم ، ولكن فى الدخول فيها خطر جسيم .

فكان اختيار الولاة مهمة صعبة بناها صلى الله عليه وسلم على الصلاحية أولا ، ثم يجبر بها من يحتاج إلى جبر ثانيًا ، فقدرأى معاذ بن جبل قد غرم غرامة مالية ، فأراد تعويضه ، فولاه ولاية القضاء وتعليم الناس وجمع الصدقات من أهل اليمن .

يروى أنه كان سمحًا ، فكان يستدين ، فباع النبي ماله كله يسدد ديونه ، حتى قام معاذ بغير شيء ، فبعثه النبي ﷺ إلى اليمن ليجبره .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نتبين فى غمرة الأحداث أن الرسول ﷺ لم يعين فى ولاية من الولايات أحد أقاربه مع صلاحية الكثيرين منهم لهذه المهمة ، بل كان بعضهم يفوق فى أهليته بعض من تولى الولايات .

نخص بالذكر منهم عمه العباس وابنى عمه عليًّا وجعفر بنى أبى طالب وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابن عمته الزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين ، مع تعريضهم للأخطار والمبارزات فى الحروب ، مما يذكرنا يما رواه ابن أبى شيبة من أن رجلا من المشركين

قال يوم الخندق : من يبارز ؟ فقال النبى ﷺ : قم يا زبير فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : واحدى يا رسول الله ؟ فقال : قم يا زبير فقام الزبير ، فقتله ، ثم جاء بسلبه إلى النبى ﷺ فنفله إياه .

وولى صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية ولاية جمع الزكاة من بنى سليم ، فجاء بأموال ، وقال : إنها الزكاة ، وجاء بأموال وقال : إنها هدية أهديت إلىَّ ، فمنع رسول الله ﷺ هدايا العمال ، وعزله ، وكان هذا الحديث :

٦٦٣٦ - عَنْ أَبِى حُمَيْدٍ السَّاعِدِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلا ، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِىَ لِى . فَقَالَ لَهُ : « أَفَلاَ قَعَدْتَ فِى بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لاَ » ؟! ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاَةِ فَتَشَهَّدَ ، وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ ؟ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِىَ لِى . أَفَلاَ قَعَدَ فِى بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ؟ فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا ، إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ ، فَقَدْ بَلَّغْتُ » . فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ : ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ . قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ : وَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعِى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ فَسَلُوهُ .

٧١٧٤ - وعنه رضى الله عنه قَالَ : اسْتَعْمَلَ النَّبِىُّ ﷺ رَجُلا مِنْ بَنِى أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الأُتَبِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِىَ لِى . فَقَامَ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ -

فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ ، فَيَأْتِى يَقُولُ هَذَا لَكَ وَهَذَا لِى . فَهَلاَّ جَلَسَ فِى بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ؟ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَأْتِى بِشَىْءٍ إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ » . ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَىْ إِبْطَيْهِ : « أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ » ؟ ثَلاَثًا .

وكانت **المهمة السادسة توزيع الفيء والعطايا على المستحقين** ، بناء على قاعدة لم يستوعبها بعض الصحابة فكان الحديث :

٢٧ - عَنْ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَىَّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّى لأَرَاهُ مُؤْمِنًا . فَقَالَ : « أَوْ مُسْلِمًا » . فَسَكَتُّ قَلِيلا، ثُمَّ غَلَبَنِى مَا أَعْلَمُ مِنْهُ . فَعُدْتُ لِمَقَالَتِى ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّى لأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ : « أَوْ مُسْلِمًا » . ثُمَّ غَلَبَنِى مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِى ، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « يَا سَعْدُ ، إِنِّى لأُعْطِى الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِى النَّارِ » .

علَّم الرسول ﷺ سعدًا ومن حضر أن الشاهد يشهد على ما يرى ، والمؤمن لا يرى إيمان أخيه ، فالإيمان تصديق القلب ، ولا يعلمه على الحقيقة إلا الله ، فقال : قل : مسلمًا ، ولا تقل : مؤمنًا ، فالإسلام هو أعمال الجوارح الظاهرة ، وحكمنا على الظاهر والله يتولى السرائر ، والذى دفع سعدًا إلى هذا التوجيه وهذا الإلحاح سماعه للحديث :

٥٠٩١ - عَنْ سَهْلٍ ﷺ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا تَقُولُونَ فِى هَذَا » ؟ قَالُوا : حَرِىٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ . قَالَ : ثُمَّ سَكَتَ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ

الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : « مَا تَقُولُونَ فِى هَذَا » ؟ قَالُوا : حَرِىٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا » .

وكان الرجل الذى لم يعطه جعيل بن سراقة الذى قال عنه صلى الله عليه وسلم : إنه خير من ملء الأرض من مثل رجال آخرين .

ولم يستوعبها عمر رضي الله عنه حين أعطاه صلى الله عليه وسلم فكان هذا الحديث :

٧١٦٣ - عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ السَّعْدِىِّ رضي الله عنه قال : أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِى خلاَفَتِه ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِى مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالا ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : بَلَى . فَقَالَ عُمَرُ : مَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : إِنَّ لِى أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا ، وَأَنَا بِخَيْرٍ ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِى صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ . قَالَ عُمَرُ : لاَ تَفْعَلْ . فَإِنِّى كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِى أَرَدْتَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِى الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ : أَعْطِه أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّى . حَتَّى أَعْطَانِى مَرَّةً مَالا ، فَقُلْتُ : أَعْطِه أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّى . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ ، وَإِلاَّ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » .

وكانت المهمة السابعة اختيار البطانة وأهل المشورة (الوزراء)

٧١٩٨ - عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِىٍّ وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ ، إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى » .

وقد أحسن رسول الله ﷺ حين اختار رجلا سهلا سمحًا رقيقًا

كأبى بكر ، ورجلا شديدًا حازمًا صعبًا صارمًا كعمر ، فكانت القضية تدرس من طرفيها ، وتتبين أبعادها أمام صاحب القرار رسول الله ﷺ بالإضافة إلى كثير من أهل الخبرة كعثمان وعلى وأسامة بن زيد وأبيه ، كما كان من أهل مشورته صلى الله عليه وسلم زعماء الأوس والخزرج وكبار المهاجرين والأنصار ، رضى الله عنهم أجمعين .

وكانت **المهمة الثامنة اختيار الجيوش وقادة البعوث** ، وكان هذا الاختيار مبنيًا على الصلاحية من وجهة نظره القتالى صلى الله عليه وسلم، وقد جهل بعض الصحابة هذه الحكمة ابتداءً فاعترضوا على تعيينه صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد قائدًا لجيش من جنوده أبو بكر وعمر ، وأسامة لم يبلغ العشرين من عمره ، ثم تبينوا صواب هذا التعيين وحكمته فقد كان الجيش موجهًا إلى مؤتة ، وفيها الموقعة التى استشهد فيها أبوه زيد ابن حارثة ، وكان قائد جيش المسلمين ، فحرص أسامة على الثأر لأبيه سيثير فيه القوة والحماس بالإضافة إلى ثورة الشباب ، وكان بعث جيش أسامة آخر وصية وصى بها رسول الله ﷺ ، وكان تنفيذها أول عمل قام به الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ .

وقد رأينا رسول الله ﷺ يندب أقاربه ويعينهم قادة للجيوش ومبارزين ليثبت للعالم أنه إنما ينزه أهله عن الحكم والسلطة ، ويوليهم مهمة الدفاع عن الإسلام وحياضه .

وكانت **المهمة التاسعة تحديد أوقات الغزوات وجهاتها** ، وبعث الجيوش والطلائع ، ورسم خطط المعارك ، وكتابة الناس ، وعقد المعاهدات والصلح ، يصرح بذلك الحديث رقم :

**٢٩٤٨ – عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ**

غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا ، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى حَرٍّ شَدِيدٍ ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا ، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِى يُرِيدُ .

والحديث رقم :

٢٩٧٦ – عن الْعَبَّاسَ ﷺ قال لِلزُّبَيْرِ ﷺ : هَا هُنَا أَمَرَكَ النَّبِىُّ ﷺ أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ .

والحديث رقم :

٣٠٦٠ – عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « اكْتُبُوا لِى مَنْ تَلَفَّظَ بِالإِسْلاَمِ مِنَ النَّاسِ » . فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ ، فَقُلْنَا : نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ابْتُلِينَا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّى وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ .

وكانت **المهمة العاشرة تثقيف النساء ورفع مكانتهن** ، وقد خصصنا لذلك جزءًا مستقلا تحت عنوان "فقه النساء" وتحت عنوان "المرأة فى الإسلام" ، ورسمنا المثل العليا للحياة الزوجية فى الإسلام ، وبسطنا الكلام على أزواج النبى ﷺ وعلى دوافع زواجه بكل منهن – رضى الله عنهن .

وكانت **المهمة الحادية عشرة** (الثانية عشرة) **تربية الصبيان على مبادئ الإسلام وآدابه** ، باعتبارهم رجال المستقبل ، وباعتبارهم القطاع الفعال للأمة ، حماتها ، ومثبتوها ، ورافعو راياتها .

يغمرهم صلى الله عليه وسلم بالعطف والحنان والحب ، ويمكنهم من إشباع رغباتهم ، وإثراء هواياتهم فى إطار الحدود الشرعية ، وكان لذلك مظاهر وسلوكيات منها :

ينقل إلى ص ٧٨٩

~~مظاهر وسلوكيات ، منها :~~ المرحلة الحادية عشرة :

**حسن معاملة الخادم** ، وقد خدمه أنس بن مالك ﷺ عشر سنين ، ما سمع شتمًا ولا سبًا ، ولا تعنيفًا ، ولا ضربًا يعبر عن ذلك فى الحديث :

**٦٠٣٨ – عن أَنَسٍ ﷺ قَالَ : خَدَمْتُ النَّبِىَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِى أُفٍّ . وَلاَ لِمَ صَنَعْتَ ؟ وَلاَ أَلاَّ صَنَعْتَ ؟ .**

بل كان يطعمه معه على مائدة واحدة ، ويصحبه معه عندما يدعى لطعام ، فيجلسه معه ، وتتداخل أيديهما فى إناء واحد ، يصرح بذلك الحديث :

**٥٤٣٥ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كُنْتُ غُلاَمًا أَمْشِى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى غُلاَمٍ لَهُ خَيَّاطٍ ، فَأَتَاهُ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ وَعَلَيْهِ دُبَّاءٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ – قَالَ – فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ جَعَلْتُ أَجْمَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ – قَالَ – فَأَقْبَلَ الْغُلاَمُ عَلَى عَمَلِهِ . قَالَ أَنَسٌ : لاَ أَزَالُ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَنَعَ مَا صَنَعَ.**

والحديث :

**٥٤٣٩ – عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ – قَالَ أَنَسٌ – فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا مِنْ شَعِيرٍ وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ – قَالَ أَنَسٌ – فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوْلِ الصَّحْفَةِ ، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ . وَقَالَ ثُمَامَةُ عَنْ أَنَسٍ : فَجَعَلْتُ أَجْمَعُ الدُّبَّاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ .**

وكان الرسول ﷺ إذا ركب أردف خادمه أنسًا خلفه ، ولا يتركه يجرى خلف الراحلة المسرعة كما يفعل أسياد الخدم فى هذه الأيام .

~~وإذا كانت هذه المعاملة مع الخدم كانت معاملاته صلى الله عليه وسلم لغير الخدم من الصبية مثلها أو أرقى منها ، فهو~~ صلى الله عليه وسلم يأكل مع الصبية من إناء واحد ، وقد رأيناه مع عمر بن أبى سلمة يأكل معـــه ، فينصحه بآداب الأكل مع الغير – سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك .

كما رأيناه صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يردف أسامة بن زيد من عرفة إلى المزدلفة ، ثم يردف الفضل بـــن العبـــاس مـــن المزدلفـــة إلى منى .

بل ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أردف صبيين معه علـــى الراحلـــة المطبقة ، أحدهما خلفه والثانى بين يديه ، يصرح بذلك الحديث :

**٥٩٦٥ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ : لَمَّـــا قَـــدِمَ النَّبِىُّ ﷺ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَحَمَلَ وَاحِدًا بَـــيْنَ يَدَيْـــهِ وَالآخَرَ خَلْفَهُ .**

وأخرج مسلم عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : « كان رســـول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى بنا ، فيلقى بى وبالحسن – أو بالحسين – فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه حتى دخلنا المدينة » .

كما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم – وهو جالس – وضع صبيًا على فخذ ، وصبيًا آخر على الفخذ الأخرى ، وفى ذلك الحديث :

**٦٠٠٣ – عَنْ أُسَامَةَ – رضى الله عنهما – كَانَ رَسُـــولُ اللَّـــهِ ﷺ يَأْخُذُنِى ، فَيُقْعِدُنِى عَلَى فَخِذِهِ ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْـــرَى ، ثُـــمَّ يَضُمُّهُمَا ، ثُمَّ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّى أَرْحَمُهُمَا » .**

كما وضع طفلا على فخذه يحنكه فبال عليه ، صرح بذلك الحديث :

**٦٠٠٢ – عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ وضع صبيًا فى حِجْرِهِ يُحَنِّكُهُ ، فَبَالَ عَلَيْهِ ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ .**

* وتقدير السن وما يحتاجه من معاملة ، وما يجرى منه من أعمال لا تليق من الرجال أدب من آداب الإسلام .

عائشة – رضى الله عنها – ترى الحبشة يلعبون بالحراب ، فتبدى رغبتها ، فيقف بها صلى الله عليه وسلم خده على خدها حتى تشبع من رؤيتهم وتعلن الاكتفاء .

ويأتيها جاريتان فى سنها تغنيان ، فلما دخل رسول الله ﷺ انسلتا خجلا ، فأعادهما صلى الله عليه وسلم لها .

ورآها صلى الله عليه وسلم تصور الصلصال تماثيل ، وتصفها فى رفها ، فيضحك صلى الله عليه وسلم معجبًا بها .

ويسابقها صلى الله عليه وسلم فى الجرى ، فتسبقه مرة ويسبقها مرة أخرى ، فيقول : هذه بتلك .

ويغتسل صلى الله عليه وسلم معها من إناء واحد ، يتسابقان فى أخذ الماء منه ، حتى تقول له : دع لى . دع لى .

ويبيت عبد الله بن عباس عند خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث فى ليلة كان الرسول ﷺ عندها ، فينام على حصير واحد ثلاثتهم ، وعلى الوسادة الواحدة ثلاثتهم ، الرسول ﷺ وزوجه ميمونة على طولها ، وابن عباس على عرضها .

ويرى الحسن والحسين يلعبان بالتمر وعلى التمر ، يركبان على غراراته ، ويتقاذفان حباته ، فلا ينهرهما ولا يمنعهما كما يصرح بذلك

الحديث :

**١٤٨٥ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ ، فَيَجِىءُ هَذَا بِتَمْرِهِ ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ - رضى الله عنهما - يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً ، فَجَعَلَهَا فِى فِيهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ ، فَقَالَ : « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لاَ يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ » .**

ويقبلهما رسول الله ﷺ وعنده الأقرع بن حابس ، فيستنكر هذه القبلات ، فيرد عليه رسول الله ﷺ فى الحديثين :

**٥٩٩٧ - عن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِىٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِىُّ جَالِسًا . فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِى عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا . فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ » .**

**٥٩٩٨ - وعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ : جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ ، فَمَا نُقَبِّلُهُمْ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ » .**

ويقول فى الحديث الثالث :

**٦٠١٣ - عن جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ » .**

وله صلى الله عليه وسلم مع أمامة بنت أبى العاص ، بنت ابنته زينب مداعبات يحدثنا عنها الحديث :

٥٩٩٦ – عن أبى قَتَادَةَ ﷺ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِىُّ ﷺ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِى الْعَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ ، فَصَلَّى فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا .

* ويداعب رسول الله ﷺ الأطفال الصغار ، ويمازحهم ، ويضاحكم، ويؤانسهم ، يحكى لنا قصة من هذه القصص الحديث :

٦٢٠٣ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كان النَّبِىُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ، وَكَانَ لِى أَخٌ يُقَالُ لَهُ أبو عُمَيْرٍ – قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمٌ – وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ » . نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاةَ وَهُوَ فِى بَيْتِنَا ، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِى تَحْتَهُ ، فَيُكْنَسُ ، وَيُنْضَحُ ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ ، فَيُصَلِّى بِنَا .

والنغير طائر معروف ، يشبه العصفور ، أحمر المنقار . كان يلعب به ، فمات ، فحزن عليه أبو عمير حزنًا كبيرًا ، ورآه رسول الله ﷺ وهو يبكى ، فداعبه ليسرى عنه .

واستدل بالحديث على جواز لعب الصغير بالطير مع عدم تمكينه من تعذيبه ، ولم يبح قط أن يعذبه حتى يموت ، فيجوز إمساك الطير فى القفص ونحوه ، وقص ريش جناحيه .

ومن هذه القصص قصة أم خالد يحكيها الحديثان :

٥٨٢٣ – عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ – رضى الله عنها – أُتِىَ النَّبِىُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ ، فَقَالَ : « مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُو هَذِهِ » . فَسَكَتَ الْقَوْمُ قَالَ : « ائْتُونِى بِأُمِّ خَالِدٍ » . فَأُتِىَ بِهَا تُحْمَلُ فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا ، وَقَالَ : « أَبْلِى وَأَخْلِقِى » . وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ : « يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَاهْ » . وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ .

٥٩٩٣ - وعَنْها - رضى الله عنها - قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِى وَعَلَىَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَنَهْ سَنَهْ » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وهِىَ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ . قَالَتْ : فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، فزجرنى أَبِى . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْهَا » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَبْلِى وأَخْلِقِى ، ثُمَّ أَبْلِى وأَخْلِقِى ، ثُمَّ أَبْلِى وَأَخْلِقِى » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ . يَعْنِى مِنْ بَقَائِهَا .

وحاصل القصة أن رسول الله ﷺ جاءته ثياب أراد توزيعها ، وفيها ثوب من صوف أسود ، فيه رسومات ، فرأى أنه يصلح لأم خالد ، وكانت طفلة ولدت بأرض الحبشة ، وقدمت مع أبيها بعد خيبر ، وهى تعقل وتميز ، وأبوها خالد بن سعيد بن العاص . من السابقين للإسلام رابع أربعة ، واستشهد بالشام فى خلافة أبى بكر . كان هذا الثوب مناسبًا لجسمها ، وقد زارت رسول الله ﷺ ، وقرر فى نفسه أن هذا الثوب مناسب لابنة السابق ذى الهجرتين ، وسأل صلى الله عليه وسلم الحاضرين للتوزيع من ترون أن نكسو هذه الخميصة ؟ وسكت القوم أدبًا وإجلالا ومهابة ، فقال : ائتونى بأم خالد . لم يرسله إليها ، ولم يعطه أباها ، ولكنه الرحيم العطوف الكريم يحب أن يفيض على الأطفال والصبية من حنانه بيده ، فجيء بها يحملونها لصغرها ، فأخذ الثوب ، وألبسها إياه بيده الكريمة ، وأشار إلى القوم ، وقال لها : يا أم خالد . هذا سناه . هذا سناه . هذا سناه. وسناه بالحبشية حسن جميل . أى هذا الثوب عليك حسن وجميل ، ودعا لها بطول العمر على عادة العرب فى الدعاء لمن لبس ثوبًا جديدًا بأن يعيش طويلا فيبلى هذا الثوب ، ويلبس جديدًا آخر ويبلى فهو كدعائنا المشهور : "تعيش وتديب" .

وهى كطفلة ترى ظهره صلى الله عليه وسلم عاريًا ، وترى فيه خاتم النبوة دائرة بلون وبروز لم يسبق لها أن رأت مثله ، وجذب منها حب استطلاعها أن تلمسه بيدها تعبث بالخاتم ، يزجرها أبوها ويمنعها إجلالا لرسول الله ﷺ ، ولا ينهاها رسول الله ﷺ ، بل نهى أباها عن زجرها ، وقال له : دعها .

أدب رفيع ، وخلق كريم ، ورحمة رحيم ، يرسمه صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، حملة شريعته ، أن يتخلقوا بأخلاقه ، وأن يقتدوا بجميل خلاله .

وقد ذكرنا فى شربه صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يناول الأيمن ومن هو على يمينه ، فالأيمن حتى يكون من هو على شماله آخر المناولين ، وأنه صلى الله عليه وسلم أعطى هذا الحق للصبى ، مساويًا إياه فى ذلك بالرجل الكبير ذى المكانة والجاه . استأذنه أن يعطى الأشياخ وكانوا على شماله ، فرفض الصبى ، اعتزازًا بسؤر النبى ﷺ ، فنفذ له رسول الله ﷺ حقه ، وأعطاه الشراب ، يروى هذه الواقعة الحديث :

**٥٦٢٠ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِىَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ . فَقَالَ لِلْغُلَامِ : « أَتَأْذَنُ لِى أَنْ أُعْطِىَ هَؤُلَاءِ » ؟ فَقَالَ الْغُلَامُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِى مِنْكَ أَحَدًا . قَالَ : فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى يَدِهِ .**

ونحن إذا قررنا أن النبى ﷺ لم يكن له بواب كما صرح بذلك الحديث :

**٧١٥٤ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ لامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ : تَعْرِفِينَ فُلَانَةَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَال : فَإِنَّ النَّبِىَّ ﷺ مَرَّ بِهَا وَهِىَ تَبْكِى عِنْدَ قَبْرٍ ،**

فَقَالَ : « اتَّقِى اللَّهَ وَاصْبِرِى » . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّى ، فَإِنَّكَ خِلْوٌ مِنْ مُصِيبَتِى . قَالَ : فَجَاوَزَهَا ، وَمَضَى ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : مَا عَرَفْتُهُ . قَالَ : إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَجَاءَتْ إِلَى بَابِهِ ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَيْهِ بَوَّابًا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ » .

وأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يستتبع الناس وراءه كما جرت عادة الملوك والأكابر ، فإن ذلك لم يكن ليمنع بعض الصحابة أن يتخذوا من أنفسهم حرسًا له أو بوابين ، كما فى قصة أبى موسى الأشعرى ﷺ فى الحديث :

٣٦٧٤ – عن أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِى بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ : لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِى هَذَا . قَالَ : فَجَاءَ الْمَسْجِدَ ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ ، فَقَالُوا : خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا ، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ – بستان بالمدينة قريب من قباء ، وفيه سقط خاتم النبى ﷺ من إصبع عثمان ﷺ – فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا – حائطها المحيط بها – وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلاَّهُمَا فِى الْبِئْرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ، فَدَفَعَ الْبَابَ . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ . فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ – أى قف لا تدخل حتى أستأذن لك – ثُمَّ ذَهَبْتُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ . فَقَالَ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ». فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِى بَكْرٍ : ادْخُلْ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ – فحمد الله– فَدَخَلَ

أَبُو بَكْر ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ فِى الْقُفِّ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِى الْبِئْرِ ، كَمَا صَنَعَ النَّبِىُّ ﷺ ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِى يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِى ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلانٍ خَيْرًا - يُرِيدُ أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ . فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ - يحركه بصوت يستأذن - فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ . فَقَالَ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » . فَجِئْتُ ، فَقُلْتُ : ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ . فَدَخَلَ ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِى الْبِئْرِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ - يريد أخاه - فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ . فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ . فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ » فَجِئْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَهُ ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ . فَدَخَلَ ، فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ - أى شغلت الجهة التى يجلس فيها رسول الله ﷺ - فَجَلَسَ وُجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ . قَالَ شَرِيكٌ : قَالَ سَعِيدُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ : فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ . هذا التأويل بعد موتهم ودفنهم ، استنبطه من صفة قبورهم .

وكانت **المهمة الثالثة عشرة تنقية عقيدة الأمة ، وتحذيرهم من الفتن** ، والفتن ابتلاء واختبار ، بها يظهر قوى الإيمان من ضعيف الإيمان ، وهى كثيرة متنوعة ، الرسوب فى بعضها وقوع فى صغائر ، والرسوب فى بعضها وقوع فى كبائر ، وكل إنسان معرض لهذا الامتحان ، وإن اختلفت مادة الامتحان . قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ

فِتْنَةً ﴾ [1]. الأولاد فتنة تظهر منها صالحهم ومفسدهم، ومضرهم ونافعهم، والأموال فتنة يظهر منها ما يساعد على خيرى الدنيا والآخرة حين تكتسب، وحين تنفق ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [2]. والصحة والمرض فتنة ، والشباب والهرم فتنة ، وكثير من هذه الفتن الرسوب فيها تكفره الصلاة والصوم ، ومنها ما هو أكبر من القتل ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [3].

**وأعظم هذه الفتن على الإطلاق ظهور المسيح الدجال** ، فعند الحاكم يقول صلى الله عليه وسلم : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال » لأنه يخرج « فى نقص من الدنيا ، وخفة من الدين ، وسوء ذات بين » أى قطع أرحام .

ولهذا حذر كل نبى قومه منه ، وأنذرهم ، قبل أن يعلموا أنه لن يدركهم ، وأنه سيكون فى زمن أمة محمد ﷺ . وكانت هذه الأحاديث :

**٧١٢٧ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ : « إِنِّى لأُنْذِرُكُمُوهُ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ ، وَلَكِنِّى سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ».**

**٧١٢٢ – عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ : مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِىَّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ مَا سَأَلْتُهُ وَإِنَّهُ قَالَ لِى : « مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ » ؟ قُلْتُ : لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ**

---

(١) سورة الأنبياء – الآية : ٣٥ .

(٢) سورة الأنفال – الآية : ٢٨ .

(٣) سورة المائدة – الآية : ٤١ .

إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ . قَالَ : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ » .

٧١٢٣ - وعَن ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أُرَاهُ عَنِ النَّبىِّ ﷺ قَالَ : « أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ » .

٧١٢٥ - وعَنْ أَبِى بَكْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ » .

٧١٣١ - وعن أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا بُعِثَ نَبِىٌّ إِلاَّ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ » .

٧١٣٢ - وعن أبى سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلا عَنِ الدَّجَّالِ ، فَكَانَ فِيمَا يُحَدِّثُنَا بِهِ أَنَّهُ قَالَ : « يَأْتِى الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِى تَلِى الْمَدِينَةَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وَهْوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ ، فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِى حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ ، هَلْ تَشُكُّونَ فِى الأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ . فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّى الْيَوْمَ . فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ » .

٧١٣٤ - وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ ، فَيَجِدُ الْمَلاَئِكَةَ يَحْرُسُونَهَا ، فَلاَ يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ - قَالَ - وَلاَ الطَّاعُونُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

والدجال كثير الدجل ، والدجل تغطية الحق بالباطل ، والدجالون فى عصور الإسلام كثيرون . قال رسول الله ﷺ : « سيكون فى أمتى دجالون كذابون ، يحدثونكم ببدع من الحديث ، بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ،

فإياكم وإياهم ، لا يفتنونكم » أخرجه أحمد .

وقال : « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كثيرون ، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله » . أخرجه أحمد أيضًا .

واهتم الصحابة بموضوع الدجال ووقت ظهوره ، ومواصفات ما معه من خوارق العادات ، وأخذوا يسألون عن كل ذلك ، والرسول ﷺ يجيبهم ، حتى قال للمغيرة ؓ لما أكثر من السؤال : « ما يضرك » ؟ أى ما يتعبك ؟ وما يغمك ؟ حتى يهولك أمر هذا الهول ، إنك لن تدركه ، ولن يدركك .

وأخذوا يطبقون أوصافه على بعض الأحياء ، **فقالوا عن ابن صياد إنه الدجال** ، وابن صياد صبى اتصل بالجن ، ومنح الإرهاص ، ومعرفة بعض الغيب ، وناقشه رسول الله ﷺ ، **وأخرج أحاديثه الإمام مسلم** . وهى هذه :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ؓ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَرْنَا بِصِبْيَانٍ فِيهِمُ ابْنُ صَيَّادٍ فَفَرَّ الصِّبْيَانُ وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « تَرِبَتْ يَدَاكَ أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ » . فَقَالَ : لاَ . بَلْ تَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : ذَرْنِى يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ يَكُنِ الَّذِى تَرَى فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ » . أى أن يكن هو الدجال فلن تستطيع قتله ؛ لأن المسيح ابن مريم هو المأمور بقتله.

وعنه قَالَ : كُنَّا نَمْشِى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فَمَرَّ بِابْنِ صَيَّادٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئاً » – أى إن كنت تعلم الغيب فأخبرنى عن شيء خبأته عنك . وكان صلى الله عليه وسلم قد خبأ فى نفسه آية

الدخان ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [1] وألقى إليه شيطانه كلمة دخان ، وكلمة دخ لغة فيها – فَقَالَ : دُخٌّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « اخسأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ » – أى فلن تتجاوز قدر وقدر إخوانك من الكهان – فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّه دَعْنِى فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « دَعْهُ فَإِنْ يَكُنِ الَّذِى تَخَافُ لَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ » .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : لَقِيَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِى بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ – أى لقوا ابن صياد – فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّه » ؟ فَقَالَ : هُوَ أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّه ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « آمَنْتُ بِاللَّه وَمَلاَئِكَته وَكُتُبِه ، مَا تَرَى » ؟ – أى ماذا ترى من المغيبات ؟ – قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ ، وَمَا تَرَى » ؟ – ممن يأتيك بالأخبار ؟ – قَالَ: أَرَى صَادِقَيْنِ وَكَاذِباً أَوْ كَاذِبَيْنِ وَصَادِقاً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « لُبِسَ عَلَيْه دَعُوهُ » .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ : لَقِيَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ابْنَ صَائِدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَابْنُ صَائِدٍ مَعَ الْغِلْمَانِ .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لِى أَمَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ – أى لقيت منهم الكثير من العنت والإرهاق – يَزْعُمُونَ أَنِّى الدَّجَّالُ ، أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : « إِنَّهُ لاَ يُولَدُ لَهُ » ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَقَدْ وُلِدَ لِى . أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : « لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلاَ مَكَّةَ » . قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَقَدْ وُلِدْتُ

---

(١) سورة الدخان – الآية : ١٠ .

بِالْمَدِينَةِ وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ – قَالَ – ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ . قَالَ : فَلَبَسَنِي . – أي فالتبس الأمر عليّ وشككت في كونه الدجال – .

وعنه رضي الله عنه قَالَ : قَالَ لِيَ ابْنُ صَائِدٍ وَأَخَذَتْنِي مِنْهُ ذَمَامَةٌ هَذَا عَذَرْتُ النَّاسَ مَا لِي وَلَكُمْ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ يَهُودِيٌّ » . وَقَدْ أَسْلَمْتُ ؟ وَقَالَ : « لاَ يُولَدُ لَهُ » . وَقَدْ وُلِدَ لِي . وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ مَكَّةَ » . وَقَدْ حَجَجْتُ. قَالَ : فَمَا زَالَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَأْخُذَ – ويؤثر – فِيَّ قَوْلُهُ . قَالَ : وَقِيلَ لَهُ أَيَسُرُّكَ ، أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ ؟ – أي الدجال ؟ – قَالَ : فَقَالَ : لَوْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ .

وعنه رضي الله عنه قَالَ : خَرَجْنَا حُجَّاجاً أَوْ عُمَّاراً وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ – قَالَ – فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ – قَالَ – وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي . فَقُلْتُ : إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ – قَالَ – فَفَعَلَ – قَالَ – فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ – أي بقدح مليء باللبن – فَقَالَ : اشْرَبْ أَبَا سَعِيدٍ . فَقُلْتُ : إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ . مَا بِي إِلاَّ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ – أَوْ قَالَ آخُذَ عَنْ يَدِهِ – فَقَالَ أَبَا سَعِيدٍ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلاً فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِيَ النَّاسُ يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُوَ كَافِرٌ »؟ وَأَنَا مُسْلِمٌ . أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُوَ عَقِيمٌ لاَ يُولَدُ لَهُ » ؟ وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ ؟ أَوَ لَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلاَ مَكَّةَ » ؟ وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ :

حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ .- وأقول هو معذور وأشفق عليه -.

وعنه رضى الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لابْنِ صَائِدٍ : « مَا تُرْبَةُ الْجنَّةِ » ؟ قَالَ : دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ : « صَدَقْتَ ».

وعنه رضى الله عنه قال : إِنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّة فقال : « دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ » .

عنْ مُحَمَّد بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ : رَأَيْتُ جَابرَ بْنَ عَبْدِ اللَّه يَحْلِفُ بِاللَّه أَنَّ ابْنَ صَائِد الدَّجَّالُ ، فَقُلْتُ : أَتَحْلِفُ بِاللَّه ؟ قَالَ : إِنِّى سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قال : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّاد حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ - أى حصون - بَنِى مَغَالَةَ ، وقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّاد يَوْمَئذ الْحُلُمَ ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ظَهْرَهُ بيَدِه ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ لابْنِ صَيَّاد : « أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّه » ؟ فَنَظَرَ إِلَيْه ابْنُ صَيَّاد فَقَال: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ . فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّـه ؟ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : « آمَنْتُ بِاللَّه وَبِرُسُله » . ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « مَاذَا تَرَى » ؟ قَالَ ابْنُ صَيَّاد : يَأْتِينِى صَادِقٌ وكَاذِبٌ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خُلِّطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ » . ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « إِنِّى قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئاً » . فَقَالَ ابْنُ صَيَّاد : « هُوَ الدُّخُّ » . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب : ذَرْنِى يَا رَسُولَ اللَّه أَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِى قَتْلِهِ » .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قال : انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِىُّ إِلَى النَّخْلِ الَّتِى فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ طَفِقَ يَتَّقِى – ويتستر ويتخفى – بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ – أى يحاول – أَنْ يَسْمَعَ مِنِ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشٍ فِى قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ – أصوات مبهمة – فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِى بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لابْنِ صَيَّادٍ يَا صَافِ – وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ – هَذَا مُحَمَّدٌ . فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ » . – فظهر منه كيف يحصل على هذه الأسرار الغيبية –.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ : « إِنِّى لأُنْذِرُكُمُوهُ مَا مِنْ نَبِىٍّ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِىٌّ لِقَوْمِهِ تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ » .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِى عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِىُّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ : « إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ » . وَقَالَ : « تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ » .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى وَجَدَ ابْنَ صَيَّادٍ غُلاَماً قَدْ نَاهَزَ الْحُلُمَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِى مُعَاوِيَةَ . وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ إِلَى مُنْتَهَى حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ ثَابِتٍ وَفِى الْحَدِيثِ عَنْ يَعْقُوبَ قَالَ : قَالَ أُبَىٌّ – يَعْنِى فِى قَوْلِهِ لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ – قَالَ لَوْ تَرَكَتْهُ أُمُّهُ بَيَّنَ أَمْرَهُ .

عَنْ نَافِعٍ قَالَ : لَقِىَ ابْنُ عُمَرَ – رضى الله عنهما – ابْنَ صَائِدٍ فِى بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ : قَوْلاً أَغْضَبَهُ ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ ، وَقَدْ بَلَغَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : رحمك اللَّهُ ، مَا أَرَدْتَ مِنَ ابْنِ صَائِدٍ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا » ؟

عَنْ نَافِعٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ – قَالَ – فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ هَلْ تَحَدَّثُونَ أَنَّهُ هُوَ قَالَ لاَ وَاللَّهِ – قَالَ – قُلْتُ : كَذَبْتَنِى وَاللَّهِ لَقَدْ أَخْبَرَنِى بَعْضُكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَكُونَ أَكْثَرَكُمْ مَالاً وَوَلَداً فَكَذَلِكَ هُوَ زَعَمُوا الْيَوْمَ – قَالَ – فَتَحَدَّثْنَا ثُمَّ فَارَقْتُهُ – قَالَ – فَلَقِيتُهُ لَقْيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرَتْ عَيْنُهُ – قَالَ – فَقُلْتُ مَتَى فَعَلَتْ عَيْنُكَ مَا أَرَى ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِى – قَالَ – قُلْتُ : لاَ تَدْرِى وَهِىَ فِى رَأْسِكَ ؟ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَهَا فِى عَصَاكَ هَذِهِ . قَالَ : فَنَخَرَ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ – قَالَ – فَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِى أَنِّى ضَرَبْتُهُ بِعَصاً كَانَتْ مَعِىَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ ، وَأَمَّا أَنَا فَوَ اللَّهِ مَا شَعَرْتُ – قَالَ – وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا ، فَقَالَتْ : مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ » ؟

كان ذلك فى أوائل الهجرة ، ورسول الله ﷺ يهادن من حوله من أهل المدينة ، ولم تكن هناك خطورة من ابن صياد على الإسلام والمسلمين ، فقد كانت عقيدة الإسلام مستقرة وثابتة ، لا تزعزعها العواصف ، ولم يكن له أتباع ، ولم يكن له مصدقون ، بل شبهه بالدجال جعل المسلمين يفرون منه ويبتعدون عنه ، كما حصل لأبى سعيد الخدرى، فإهماله وعدم الضرب على يديه ، وعدم قتله كان حكمة من رسول الله ﷺ.

نبذه الصحابة نبذ السليم للأجرب ، حتى كره نفسه ، وفكر في الانتحار من عزلته .

أراد صلى الله عليه وسلم أن يمتحن ابن صياد ، ليكتشف مدى كهانته وشعوذته ، فلما نزل قول الله تعالى : ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [(١)]. قصده رسول الله ﷺ وقال له خبأت لك خبيئًا . فما هو ؟ قال : دخ – وهى لغة فى الدخان ، فعلم صلى الله عليه وسلم أن شأنه شأن الكهنة الذين تلقى إليهم كلمة مخطوفة ، ولا يعلمون الحقيقة الكاملة ، فهو لم يعلم الآية ، وإنما التقط ما التقطه الشيطان منها كلمة الدخان ، فقال له النبى ﷺ : اخسأ فلن تتجاوز قدرك ، وقدر أمثالك من الكهان .

روى أنه تاب من هذه الدعوى ، ومن ذلك القول ، وأنه مات بالمدينة ، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس ، وقيل لهم : اشهدوا .

شغل موضوع المسيح الدجال خيال الصحابة ، وغطى على كل الدجالين .

وقد اختلف العلماء فى أمره اختلافًا كثيرًا ، من أين يخرج ، وما الذى يدعيه ؟ وما الذى يظهر عند خروجه من الخوارق ؟ حتى يكثر أتباعه ، ومتى يهلك ؟ ومن يقتله ؟

والمشهور أنه يخرج من قبل المشرق ، من خراسان ، وقيل : من أصبهان .

---

(١) سورة الدخان – الآية : ١٠ .

يخرج فيدعى الإيمان والصلاح أولا ، ثم يدعى النبوة ، ثم يدعى الإلهية ، فليس به خفاء ، يجيء من قبل المشرق فيدعى الدين ، فيتبع ويظهر ، فلا يزال حتى يقدم الكوفة ، فيظهر الدين ويعمل به ، ، فيتبع ويحث على ذلك ، ثم يدعى أنه نبى ، فيفزع من ذلك كل ذى لب ، ويفارقه ، فيمكث بعد ذلك زمنًا ، ثم يقول : أنا الله ، فتغشى عينه ، وتقطع أذنه ، ويكتب بين عينيه كافر ، فلا يخفى على كل مسلم ، فيفارقه كل أحد من الخلق فى قلبه مثقال حبة من إيمان .

أخرج نعيم بن حماد من طريق كعب الأحبار أنه يأتى النهر ، فيأمره أن يسيل إليه فيسيل ، ثم يأمره أن يرجع فيرجع ، ثم يأمره أن ييبس فييبس ، ويأمر الريح أن تثير سحابًا من البحر ، فتمطر .

وعند مسلم : « معه جبال من خبز ولحم ، ونهر من ماء ، ومعه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار » .

يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة ، ثم يقصد بيت المقدس ، فينزل عيسى عليه السلام ، فيقتله ، وعلى الرغم من أننا لا نطمئن إلى هذه الأخبار ، فإنه لا يضرنا فى ديننا أن نمسك عن الخوض فى هذه التفاصيل. وكل ما يجب علينا أن نؤمن بأن الدجال من علامات الساعة ، فإن النبى ﷺ أخبر بذلك فى الصحيح ، وكان يستعيذ فى صلاته من فتنة المسيح الدجال .

وفى إطار **تربية الصحابة وتأهليهم تأهيلا صحيحًا لحمل الرسالة ونشرها حذرهم صلى الله عليه وسلم من الفتن والخلافات** ، وذكرهم بقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ (١).

---

(١) سورة الأنفال – الآية : ٢٥ .

وقال :

٧١٠٨ – عَنِ ابْنَ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً ، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ».

حذرهم من التبديل ومن المحدثات ، وقد أطلعه ربه على أن بعضهم سيرتد من بعده ، وأن بعضهم سيقاتل بعضًا من أجل الدنيا ، وأعلمه ربه أنه صلى الله عليه وسلم سيفاجأ ببعضهم يزاد ويبعد عن حوضه ، فيقول : أصحابى . أصحابى . فيقال له : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ؟ يصور لنا هذا المنظر الحديث :

٧٠٤٩ – عن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قال النَّبِىُّ ﷺ« أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَىَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِى فَأَقُولُ أَىْ رَبِّ أَصْحَابِى . يَقُولُ : لا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ » .

رأى فى منامه صلى الله عليه وسلم – ورؤياه حق ووحى – بعض ما سيقع لأمته من الفتن ، فكان هذا الحديث :

٧٠٦٩ – عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ – رضى الله عنها – زَوْجَ النَّبِىِّ ﷺ قَالَت : اسْتَيْقَظَ رَسُولُ ﷺ لَيْلَةً فَزِعاً يَقُولُ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ ؟ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ – يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ – لِكَىْ يُصَلِّينَ ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِى الدُّنْيَا ، عَارِيَةٍ فِى الآخِرَةِ » .

يحذر صلى الله عليه وسلم من أن كثيرًا من الأغنياء فى الدنيا سيكونون عراة من الثواب يوم القيامة . يحذر من الفتوح وخزائن الدنيا ، وما ينشأ عن ذلك من الفتن والبعد عن الدين ، والتنافس فى متاعها وزينتها فيقع القتال ، ويحرص على المال ، فيشتد البخل ، ويمنع الحق ، ويغتر

صاحبه ، فيسربل بالبطر أو يسرف ويبذر ، فيقول صلى الله عليه وسلم :

٦٤٢٥ – عن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ﷺ وَهُوَ حليفٌ لبنى عامر بْنِ لُؤَىٍّ كَانَ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ بعث أبا عُبَيْدَةَ ابْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِى بِجِزْيَتِهَا ، وكَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِىِّ ، فقدم أبو عُبَيْدَةَ بمالٍ منَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ فَوَافَتْهُ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ : « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِى عُبَيْـدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَىْءٍ ». قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : « فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ » .

٦٤٢٧ – عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ » . قِيلَ : وَمَا بَرَكَاتُ الأَرْضِ ؟ قَالَ : « زَهْرَةُ الدُّنْيَا » . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : هَلْ يَأْتِى الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ فَصَمَتَ النَّبِىُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ فَقَالَ : « أَيْنَ السَّائِلُ » ؟ قَالَ : أَنَا . قَالَ أَبُو سَعِيد : لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ . قَالَ : « لاَ يَأْتِى الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ ، إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرَةِ ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ ، فَاجْتَرَّتْ وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِى حَقِّهِ ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ ، كَانَ الَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ » .

نعم . الخير المحض الخالص لا يأتى إلا بالخير ، لكن زهرة الحياة الدنيا ليست خيرًا محضًا ، وليست خيرًا دائمًا ، فطريق تحصيلها قد يكون شرًّا ، قديكون بامتصاص دم الآخرين ، وطريق إنفاقها قد يكون شرًّا فيما حرمه الله . فالمال مرغوب فيه ، ترتاح النفس لطلبه ، وقد تطلبه فتمنع من الوصول إليه ، فتقع المقاتلة ، ويقع الهلاك .

انظر إلى الزرع الذى ينبته الربيع ، والحشائش الخضراء التى تكسو الأرض ، وتشبع الحيوان تجد بعضه يقتل الحيوان ، أو يوشك أن يقتله ، إذا أكل منه فوق طاقته وحاجته ، فيصاب بالانتفاخ ، ويصاب بعدم القدرة على الهضم ، وتجد بعضه ينفع الحيوان وينميه ويقويه . وهكذا المال عند الإنسان .

لذا وجدنا عمر ﷺ ، وقد صب أمامه المال يقول : اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا – يشير إلى قوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ** ﴾ (١) . اللهم إنى أسألك أن أنفقه فى حقه ، وقنى شره ، ويسر لى خيره .

ووجدنا رسول الله ﷺ يقول لحكيم بن حزام :

**٦٤٤١ – عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَأَعْطَانِى ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِى ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِى ، ثُمَّ قَالَ : « هَذَا الْمَالُ – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ قَالَ لِى : يَا حَكِيمُ – إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ،**

(١) سورة آل عمران – الآية : ١٤ .

وَكَانَ كَالَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » .

ويحذر رسول الله ﷺ من فتنة المال والولد ، ومن فتنة النساء ، يؤكد قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (٣).

ويحكى حذيفة لعمر – رضى الله عنهما – فتنة المال والولد ، ويقول : إنها تكفرها الصلاة ، والصوم ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فيقول :

٥٢٥ – عن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِى الْفِتْنَةِ ؟ قُلْتُ : أَنَا ، كَمَا قَالَهُ . قَالَ : إِنَّكَ عَلَيْهِ – أَوْ عَلَيْهَا – لَجَرِىءٌ . قُلْتُ : « فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ وَالنَّهْىُ » . قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، وَلَكِنِ الْفِتْنَةُ الَّتِى تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ . قَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً . قَالَ : أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ ؟ قَالَ : يُكْسَرُ . قَالَ : إِذاً لاَ يُغْلَقَ أَبَدًا . قُلْنَا : أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ ، إِنِّى حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ . فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقاً ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : الْبَابُ عُمَرُ .

---

(١) سورة الأنفال – الآية : ٢٨ .

(٢) سورة المنافقون – الآية : ٩ .

(٣) سورة التغابن – الآية : ١٤ .

ويحذر صلى الله عليه وسلم من حمل المسلم سلاحه على المسلم فيقول :

٧٠٧٧ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّاراً ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

٧٠٧١ – عَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا » .

٧٠٨٣ – عَنِ الْحَسَنِ ﷺ قَالَ : خَرَجْتُ بِسِلاَحِى لَيَالِىَ الْفِتْنَةِ ، فَاسْتَقْبَلَنِى أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أُرِيدُ نُصْرَةَ إبْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَكِلاَهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ » . قِيلَ : فَهَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » .

وحذر من الفتن عمومًا على الرغم من أنه أكد وقوعها فقال :

٧٠٨١ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى ، وَالْمَاشِى فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ – أى من تطلع إليها تشده – فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا – فمن وجد فى أثنائها مخبأ – مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ » .

٧٠٨٦ – وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ حَدَّثَنَا : « أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِى جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ – يختلف فيه عن الأمة وأعماقها – ، ثُمَ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ » . وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ : « يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ – الوكت هو انتفاخ

الجلد وجمع سائل تحته ، ويحدث كثيرًا فى اليد العاملة فى الرحى ونحوها- ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْلِ - المجل انتفاخ الجلد بسبب توهوج النار عليه - كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيْسَ فِيهِ شَىْءٌ ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّى الأَمَانَةَ فَيُقَالُ : إِنَّ فِى بَنِى فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِيناً . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَا أَعْقَلَهُ ، وَمَا أَظْرَفَهُ ، وَمَا أَجْلَدَهُ ، وَمَا فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَىَّ زَمَانٌ ، وَلاَ أُبَالِى أَيُّكُمْ بَايَعْتُ ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً رَدَّهُ عَلَىَّ الإِسْلاَمُ ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَىَّ سَاعِيهِ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلاَّ فُلاَناً وَفُلاَناً » .

نوهج

٧٠٨٤ - عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قال : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِى فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا فِى جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ » . قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْىٍ ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » . قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا . قَالَ : « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا » . قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِى إِنْ أَدْرَكَنِى ذَلِكَ ؟ قَالَ : « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ ؟ قَالَ : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » .

واستعاذ رسول الله ﷺ من الفتن فقال :

٧٠٨٩ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : سَأَلُوا النَّبِىَّ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ ، فَصَعِدَ النَّبِىُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ : « لاَ تَسْأَلُونِى عَنْ شَىْءٍ إِلاَّ بَيَّنْتُ لَكُمْ » . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ رَأْسُهُ فِى ثَوْبِهِ يَبْكِى ، فَأَنْشَأَ رَجُلٌ كَانَ إِذَا لاَحَى يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ مَنْ أَبِى ؟ فَقَالَ : « أَبُوكَ حُذَافَةُ » . ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ ، فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا رَأَيْتُ فِى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا دُونَ الْحَائِطِ » . قَالَ قَتَادَةُ يُذْكَرُ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ هَذِهِ الآيَةِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (١).

ويحذر صلى الله عليه وسلم من التقاتل على الملك ، ويأمر الأنصار بالصبر وعدم الخروج على الإمام إذا استأثر المهاجرون بالحكم ، فقال :

٣٧٩٤ – وعنه ﷺ حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْوَلِيدِ قَالَ : دَعَا النَّبِىُّ ﷺ الأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطِعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ . فَقَالُوا : لاَ ، إِلاَّ أَنْ تُقْطِعَ لإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا . قَالَ : « إِمَّا لاَ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى ، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِى أُثْرَةٌ » .

وفتح باب الفتن الكبرى بمقتل عثمان ﷺ وأصبح المسلمون أمامه ثلاث فرق : فرقة مع على ﷺ ، وفرقة مع خصومه ، وفرقة معتزلة للقتال ، ويمثلها ابن عمر – رضى الله عنهما – فى هذا الحديث :

٧٠٩٥ – عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) سورة المائدة – الآية : ١٠١ .

عُمَرَ فَرَجَوْنَا أَنْ يُحَدِّثَنَا حَدِيثاً حَسَناً - قَالَ - فَبَادَرَنَا إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدِّثْنَا عَنِ الْقِتَالِ فِى الْفِتْنَةِ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [1] فَقَالَ : هَلْ تَدْرِى مَا الْفِتْنَةُ ؟ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ الدُّخُولُ فِى دِينِهِمْ فِتْنَةً ، وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ .

فكان رأى ابن عمر ترك القتال فى الفتنة ، ولو ظهر المحق من الفرقتين ، فلا يقاتل معها الفرقة المبطلة ، والجمهور على خلاف هذا الرأى ، فإنه إذا علمت الباغية وجب مقاتلتها حتى ترجع إلى الطاعة . لكن الأمر فى هذه الفتنة قد اختلط ، وأصبحت لكل فرقة وجهة نظر ، وصلت بفرقة منهما أن تحرق سبعين من الفرقة الأخرى فى فتنة عمياء . حاصل قصتها :

فى سنة ثمان وثلاثين من الهجرة كان عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - عاملا لعلى على البصرة ، فخرج منها فرارًا من أخطار الفتنة ، واستخلف عليها زياد بن سمية ، فأرسل معاوية عبد الله بن عمرو الحضرمى ليأخذ له البصرة ، فكتب زياد إلى على يستنجده ، فبعث له جارية بن قدامة فى مدد وقوة ، فحاصروا الحضرمى فى الدار التى نزل فيها ، فلما لم يستسلم أحرق جارية الدار عليه وعلى من معه . ووصلت الفتنة بالفرقتين أن يقتل منهما فى معركة الجمل عشرة آلاف ، فيهم من كان من خيرة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين -.

---

(١) سورة الأنفال - الآية : ٣٩ .

## فهرس الجزء السابع